جبران خليل جبران

السَّابِق



مؤسسة بحسون
للنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

مقدمة دراسة وتحليل
الدكتورة نازك سابا يارد
(دراسة جديدة)



السَّابِق

جبران خليل جبران

السَّابِق

مقدمة دراسة وتحليل
الدكتورة نازك سابا يارد

(دراسة جديدة)





الطبعة الأولى
١٩٩٢



© مؤسسة بحسون
للنشر والتوزيع
منشورات بحسون الثقافية - دار المنال
سجل تجاري ١٠٩٥١ - بولفار سليم سلام - بناية سوق الروشة
تلفون: ٣٠٥٦٢٣-٢١٩١٤٧ - ص.ب ١١/٨٥٠٥ - بيروت - لبنان

جبران خليل جبران

(١٨٨٣ - ١٩٣١)

مقدمة دراسة وتحليل

بيئته وعصره

للبيئة والعصر أثر بارز في نتاج الشعراء والأدباء. لذا نرى انعكاساً للقضايا السياسية والاجتماعية في لبنان، على نتاج أديبنا جبران خليل جبران الذي لم يقض فيه إلا السنوات العشر الأولى من حياته، ثم أربع سنوات حين عاد إليه ليلتحق بمدرسة الحكمة (سنة ١٨٩٨ ـ ١٩٠٢). وقد شغلته قضايا وطنه فتوجه، وهو في بوسطن ونيويورك، إلى القارىء العربي بلغته العربية. ولم يتحول إلى الكتابة بالإنكليزية إلا بعد الحرب العالمية الأولى. ورافق تحوله هذا تحوّل فكري، إذ اتجه في نتاجه الإنكليزي اتجاهاً روحانياً صوفياً.

ففي أعقاب مجازر ١٨٦٠ م التي أودت بحياة بعض المسيحيين والدروز، تمّ الاتفاق بين فرنسا وبريطانيا والنمسا وبروسيا وممثل السلطان العثماني، على منح جبل لبنان استقلالاً إدارياً تحت حكم متصرف عثماني مسيحي كاثوليكي. وعندما دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى ألغي الاتفاق، وأصبح الجبل جزءاً من الأمبراطورية العثمانية، حكمه متصرفون مسلمون. وقد ازدهر عهد المتصرفية في المتن والشوف وجزين وكسروان. أما في شمالي لبنان، فلم

يؤيد موارنة البترون وبشرّي المتصرفية، لأن المتصرف لم يكن لبنانياً.

وساد الأمن في الجبل، وازدهرت الصناعة الحرفية والتجارة. لكن البحبوحة الاقتصادية لم تدم طويلاً بسبب المزاحمة الأجنبية، وتعرض الإنتاج الزراعي للأمراض، فحلّت الفاقة وهاجر كثيرٌ من القرويين.

وقبل عهد المتصرفية، أسس المرسلون الأوروبيون والأميركيون المدارس في لبنان، وأنشئت إلى جانبها مدارس لبنانية وطنية وطائفية. وانتشرت المطابع والصحف والمكتبات؛ فاطلّع اللبنانيون على الفكر والآداب الغربية. وظهر من اللبنانيين المسيحيين لغويون وأدباء وصحفيون، كانوا طليعة نهضة أدبيّة عربية، امتدّت من لبنان إلى الأقطار العربية الأخرى؛ إذ طوروا اللغة العربية، وأحيوا التراث القديم، ووضعوا أسس الصحافة العربية في لبنان ومصر، وجدّدوا في فنون الأدب ومعانيه وأساليبه.

ورافق هذه النهضة الأدبية العربية وعيٌ قومي عربي، تبلور في آخر القرن التاسع عشر، ودعا المسلمون العرب إلى التضامن مع المسيحيين للانفصال عن العثمانيين. وبعد هزيمة تركيا خضع لبنان وسوريا للانتداب الفرنسي، وأسست فرنسا دولة لبنان الكبير. وسنة ١٩٢٦ م قامت جمهورية لبنانية دستورية.

هذا في لبنان، أما في بوسطن، فكانت الحركة الأدبية والفنية ناشطة، على صعيد الجامعات والمكتبات ودور النشر والمجلات؛ فظهر الأدباء والشعراء والرسامون والموسيقيون. وكان لهذا المناخ

الثقافي أثر في تكوين جبران الفكري والفنّي. فقد رعاه «داي»، وصادقته «ماري هاسكل»، وتعرف إلى عدد من رجالات الفن والأدب في بوسطن.

وحين انتقل سنة ١٩١٢ م إلى نيويورك، صادق الأدباء المهجريين أمثال الريحاني ونعيمة ووليم كتسفليس... كما اتصل بعدد من الشعراء والأدباء الأميركيين والأوروبيين.

سيرة جبران

ولد جبران خليل جبران في بشري، في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٨٣ م. كان والده سيّء الخلق، كسولاً، يعمل في عد الأغنام والماعز في الجرود وجباية الرسوم عليها. أما والدته كاملة فكانت ذكية وقوية الشخصية. تزوجت حنا رحمة وأنجبت منه بطرس. وهاجر حنا إلى البرازيل ومات فيها. فتزوجت بعده خليل جبران، ورزقت منه جبران ومريانة وسلطانة. تعلم جبران مبادىء القراءة والكتابة من الطبيب الشاعر سليم الضاهر. وكانت أسرته فقيرة بسبب كسل والده، وانصرافه إلى السكر والقمار. أضف إلى ذلك أن والده اتهم بالسرقة، فسجن ثلاث سنوات، وصودرت أملاكه، وكان جبران في الثامنة من العمر. فحملت الأم أولادها الأربعة، وتركت زوجها ووطنها، وهاجرت إلى بوسطن فنزلت في حيها الشرقي حيث التقت بعدد من أهل بشري، ومن عائلة جبران. أخذت الأم تبيع أشغالاً يدوية. وفتح بطرس متجراً صغيراً تساعده فيه أختاه. أما جبران فدخل المدرسة، وألحق بصف خاص لتعلم الإنكليزية مع أولادٍ آخرين. ونمّت الأم في جبران حُب الاستقلال والطموح. وبدت عليه مخايل الذكاء، وتفوّق في الرسم. ونمّت

مواهبه الفنية وشجعتها «فلورنس پيرس» معلمة الرسم في المؤسسة التي التحق بها جبران سنة ١٨٩٥[١]. وكان من أعضاء هذه المؤسسة الآنسة «دجيسي بيل» التي كتبت إلى صديقها المثقف الغني «فريد هولاند داي» أن يعتني بجبران. ومنذ كانون الأول ١٨٩٦ أخذ «داي» يساعده مادياً، ويقرأ له ويعيره الكتب التي أثّرت في توجيهه الفكري والروحي والفنيّ. وعهد إليه «داي» برسم الغلاف لعدد من الكتب التي نشرتها دار «كويلا اند داي». وعرّفه ببعض الرسّامين والأدباء، وببعض العائلات الأرستقراطية الغنية. كما تعرّف بالشاعرة الجميلة «جوزفين پيبودي». وقررت أمه وأخوه إعادته إلى لبنان لإكمال دراسته، فأبحر إلى بيروت في صيف ١٨٩٨. ودخل مدرسة الحكمة، فدرس اللغة العربية وآدابها. وكان يقضي العطلة الصيفية في بلدته بشري. ولكنه نفر من والده الذي تجاهل مواهبه، فأقام مع ابن عمه نقولا. ووجد عزاءه في الطبيعة، وفي صداقة أستاذ طفولته سليم الضاهر، وضيافة الوجيه طنوس الضاهر. ومن علاقة الحب بينه وبين حلا الضاهر، استوحى قصته «الأجنحة المتكسرة» بعد عشر سنوات.

لما علم جبران بوفاة أخته سلطانة في نيسان سنة ١٩٠٢، وكانت في الرابعة عشر من عمرها، غادر لبنان عائداً إلى بوسطن. واتصل بالشاعرة «جوزفين پيبودي» فصادقها، وكانت في السادسة والعشرين من العمر، وهو لا يزال في التاسعة عشرة. فأعجبت برسومه. وتطورت صداقتهما إلى حب دام أربع سنوات. وكان لهذه العلاقة صدى في «دمعة وابتسامة». ومرضت أمه ثم أخوه بطرس؛ فحل مكانه في الدكان.

توفي بطرس في آذار سنة ١٩٠٣ مسلولاً، وتبعته الأم في حزيران من السنة نفسها. فترك جبران الدكان لمسؤول يتدبر شؤونه، وانصرف إلى الرسم والكتابة بالعربية. وفي أيار ١٩٠٤، عرض جبران رسومه برعاية مشجعه «فريد داي». ودخلت «ماري هاسكل» حياته. كانت ابنة رجل سياسي لامع، ورئيسة مدرسة خاصة للبنات في بوسطن. فزارت معرضه الأول، وعرضت رسومه في مدرستها، وفي هذه الأثناء بدأ جبران يكتب لجريدة «المهاجر» في نيويورك. وسنة ١٩٠٥ كتيّبه الأول «الموسيقى»، وانقطع للكتابة والرسم. وكانت أخته مريانة تشتغل في معمل خياطة وتعيله. وذاعت شهرته الأدبية بين قرّاء العربية في المهجر من مقالاته وقصائده النثرية، وقصصه التي نشرها في «المهاجر». وسنة ١٩٠٦ نشر له أمين الغريب في نيويورك «عرائس المروج». فحازت قصصها الثلاث إعجاب كُتّاب المهجر، لما فيها من سخريّة وواقعية ونقد لاذع في أسلوب جديد حي. وخلال سنتي ١٩٠٧ و١٩٠٨، عرّفته «ماري هاسكل» إلى أصدقائها وصديقاتها، ومنهم المعلمة الفرنسية في مدرستها «إملي ميشال» وقد عُرِفَت بميشلين. فأحبها جبران ورسمها مراراً. وسنة ١٩٠٨، ظهر كتابه الثالث والذي ثبَّت شهرته: «الأرواح المتمردة». وفي تموز سنة ١٩٠٨، أرسلته «ماري هاسكل» على نفقتها إلى باريس، ليطوّر فنه. فلبث فيها سنة. وفي تشرين الأول سنة ١٩١٠ عاد إلى الولايات المتحدة، وطلب جبران الزواج من ماري هاسكل التي أحبته وأعجبت به، فرفضته حتى لا تعرقل نتاجه الفَنّي(٢). ولكنها ظلت تساعده مادياً ومعنوياً. ثم أرسلته إلى نيويورك حيث تعرف إلى أمين الريحاني وآخرين من

رجالات الأدب والفن. وسنة ١٩١٢ صدرت «الأجنحة المتكسرة»، وبعد سنتين «دمعة وابتسامة». وعُرضت رسومه للمرة الأولى في نيويورك. ومنذ سنة ١٩١٢ أظهر عداءه للاحتلال التركي في سوريا ولبنان، فدعا في مقالاته العرب إلى الاتحاد لمقاومة العثمانيين. وحين عمَّت المجاعة سنة ١٩١٦ اشترك في حملة لجمع التبرعات لوطنه، وكانت قصيدته النثرية «مات أهلي»، وبدأ نجمه يلمع. وبفضل صداقته مع ماري هاسكل أتقن الإنكليزية، وصار معظم نتاجه بعد سنة ١٩١٨ بالإنكليزية. كانت ماري تصحح له ما يكتب. فظهر «المجنون» سنة ١٩١٨.

واستمر جبران يستشيرها في كل ما يكتب بالإنكليزية خلال جلسات عمل أو بالمراسلة. وبعد ما غادرت بوسطن إلى الجنوب سنة ١٩٢٢ حيث تزوجت سنة ١٩٢٦، أرسل إليها «يسوع ابن الإنسان» سنة ١٩٢٧ و«آلهة الأرض» سنة ١٩٣٠[٣]، و«التائه» سنة ١٩٣١ لتصحيحها قبل الطباعة[٤].

وفي وصيته سنة ١٩٣٠، ترك جبران لماري لوحاته ومخطوطاته ورسائله وكتبه، ولأخته ماله وأسهمه، ولمسقط رأسه بشري المدخول من حقوق كتبه. وذاعت شهرته بفضل ميخائيل نعيمة ومقالاته النقدية لأدب جبران.

في سنة ١٩٢٠ أسس جبران الرابطة القلمية مع نعيمة وأبي ماضي والريحاني وكاتسفليس وندرة حداد ونسيب عريضة... وانتُخب رئيساً لها. وفي السنة نفسها، ظهرت له «العواصف» في العربية، و«السابق» في الإنكليزية. وسنة ١٩٢٣ ظهر «النبي».

وكانت السنوات الثماني الباقية من حياته سنوات شهرة عالمية. فكتاب «النبي» أصبح أكثر الكتب مبيعاً في الولايات المتحدة. ومؤلفاته العربية طُبعت مراراً. ونشرت له «الهلال» المصرية بعض مقالاته. وراسل الأديبة مي زيادة. ولكن المحافظين في لبنان ومصر هاجموا كتاباته العربية. فرد عليهم أعضاء الرابطة القلمية، فنجم عن ذلك جدل نقدي بين المهجريين المجددين والكُتّاب العرب المحافظين. وأقلع جبران عن الكتابة بالعربية وانصرف إلى الكتابة بالإنكليزية. واتخذ سنة ١٩٢٥ الشاعرة الأميركية «باربرة يونغ» سكرتيرة له، والتقى معها في الإيمان بالتقمص. ورغم الآلام المبرّحة في ساقيه، تابع الكتابة. فأنهى بين ١٩٢٦ و ١٩٣١ «يسوع ابن الإنسان» و«آلهة الأرض» و«التائه» وأجزاء من «حديقة النبي» (أتمته سكرتيرته ونشرته بعد وفاته). أقام له العرب والأجانب في نيويورك وبوسطن حفلات تكريمية، إلا أن صحته ساءت فنقلته سكرتيرته إلى المستشفى حيث فارق الحياة في ١٠ نيسان ١٩٣١. ونقل جثمانه إلى بشري في السنة ذاتها.

شخصية جبران وثقافته

كان جبران ميالا منذ الطفولة إلى الوحدة والتأمل وأحلام اليقظة. وظل في مراهقته منطوياً على نفسه، بعيداً عن الأقارب والجيران. وكان سريع البديهة، متواضعاً، طموحاً، ولكنه كان أنانياً. فحين توفي أخوه وأمه، لم يبق إلى جانب أخته مريانة ليؤاسيها، بل تابع حياته الاجتماعية كأن شيئاً لم يكن، يرافق أصدقاءه وصديقاته إلى الحفلات الموسيقية والمسرحيات. وكان شديد الرغبة في الشهرة، ولو عن طريق الانتقاد. فقد سُرّ بانتقاد المنفلوطي لقصته «وردة

الهـاني». وخلال الحـرب كتب مقالات ثـائرة ضــد العثمانيين، وشجَّع الشباب المغتربين على حمل السلاح لمحاربة تركيا. ومع ذلك انضمّ إلى عدد من الأدباء الأميركيين في تحرير مجلة «الفنون السبعة» التي هاجمت الحرب ونادت بالسلام.

وكان لجو بوسطن الـذي نشأ فيـه، أثر في إذكـاء ثورتـه على التقاليد والنظم البالية في المجتمع الشرقي، وذلك عنـدما أحسّ بـالتناقض بين جـو الحريـة الفكريـة والاجتماعيـة والسياسيـة في بوسطن، وبيئته الشرقية. ورافقته أحلام اليقظة من الطفولـة حتى الرجولة. فادعى لمعارفه، وخاصة لماري هاسكل، أنه منحدر من أسرة أرستقراطية. عريقة غنية، وأنه أثناء إقامته في بـاريس، قُبِل عضواً في «الاتحاد الدولي للفنون الجميلة والآداب».

وكان واسع الثقافة. فقد قرأ لشكسبير والأدباء الرومنسيين: ولا سيما بليك كيتس، شلي، نيتشه، أميرسـون[٥]، ولعله حاكى في قصائده النثرية قصائد الشاعر الأميـركي والت ويتمان مبتكـر هذا الفن. كما يبدو أثر فلسفة أفلاطون وأفلوطين في رومنسيته وتصوفه، وأثر الإنجيل بارز في نتاجه. فقد خص المسيح بكتابه «يسوع ابن الإنسان» كما تأثر فكره بالتصوف الشرقي الهنـدي منه والمسيحي والإسلامي، فآمن بوحدة الوجود وبالتقمص، وبالحب وسيلة لبلوغ الحقيقة. وقد أوصته ماري هاسكل بقراءة الشاعر الهندي طاغور، وفيما بعد أخبرها بأنه اجتمع به[٦]. هذا فضلاً عن قراءته الأساطير اليونانية والكلدانية والفارسية والفينيقية والمصرية[٧].

أ - المؤلفات العربيّة

١ - **الموسيقى** (١٩٠٥): كُتَيب أصدره في نيويورك وكان أول ما نشره. وفيه يشبه الموسيقى بصوت حبيبته. ثم يذكر أسباب تأثر الإنسان بالموسيقى، وكيف أنها تؤثر في الناس جميعاً؛ لذلك رافقت حفلاتهم ومعاركهم ومواكبهم وصلواتهم، ثم يناجي الموسيقى، ويطلب من الناس أن يتغنوا بعظمة الموسيقيين.

٢ - **عرائس المروج** (١٩٠٦): يضم الكتاب ثلاث أقاصيص:

الأولى: (رماد الأجيال والنار الخالدة). تدور أحداث فصلها الأول في مدينة الشمس (بعلبك) ١١٦ ق. م وفيه أحب ناثان ابن الكاهن حيرام فتاةً، ولكنها تموت قبل أن يتزوجها. وفي الفصل الثاني ١٨٩٠ م يرعى الراعي علي الحسيني أغنامه قرب آثار هيكل بعلبك، ثم ينام، فيرى أنه ناثان بن حيرام تقمصت روحه بعد قرون. وحين صحا رأى صبيّةً جاءت لتملأ جرتها. واتضح لهما أنهما ناثان وعروسه اللذان تحابا قبل قرون، أعادتهما إلٓهة الحب إلى الحياة ليسعدا بحبهما.

الثانية (مرتا البانية): فتاة قروية يتيمة ساذجة، اعتدى عليها شاب غريب وسيم، فاختفت من القرية. بعد أعوام التقى الكاتب بابنها الصغير يبيع الأزهار في بيروت، فتبعه إلى بيته حيث رأى مرتا على فراش الموت. فأخبرته بأنها باعت شرفها لتعيل ابنها. وتموت مرتا، ولا يسير في جنازتها سوى الكاتب وابنها الصغير.

الثالثة (يوحنا المجنون): راع فقير شرد قطيعه، ورعى في

أراضي الدير، فسجنه الرهبان عقابا مطالبين إياه بالتعويض. فافتدته أمه بكل ما تملك. ثم ألقى يوحنا في الناس خطبة هاجم فيها رجال الدين لأنهم يتمتعون بالمال، ويظلمون الفقراء ويسلبونهم أموالهم. فسجنه الرهبان ثانيةً، ولم يفرج عنه إلا حين شهد والده بأنه مجنون.

٣ ـ الأرواح المتمردة (١٩٠٨): تضم أربع قصص اجتماعية:

الأولى (وردة الهاني): قصة رجل غني كهل تزوج وردة، فتاة فقيرة في الثامنة عشرة من عمرها. فعاشت تعيسة لأنها لم تستطع أن تحب زوجها. فأحبت شاباً فقيراً وتركت زوجها.

الثانية (مضجع العروس): قصة ليلى التي أحبت سليماً، ولكنها تزوجت كهلاً غنياً لا تحبه لأنها ظنت أن سليماً خانها. وليلة عرسها التقت بسليم في الحديقة، وباح كل منهما بحبه للآخر، ثم قتلت حبيبها وانتحرت لتتخلص من زوجها الكهل.

الثالثة (صراخ القبور): فيها يُحكم بالإعدام على شاب قتل قائداً، وصبية جميلة خانت زوجها، وكهل فقير اتهم بسرقة آنية من الدير. ويتضح للكاتب أن للشاب خطيبة أراد هذا القائد أخذها بدلاً من الضريبة التي عجز والدها عن دفعها. أما الصبية فاتهمها زوجها بالزنا لأنه رآها تكلم شاباً كانت قد أحبته من قبل زواجها. والكهل قضى عمره يعمل في أراضي الدير إلى أن هرم فطردوه. ولما جاع أولاده ذهب إلى الدير ليأخذ كيس قمح من «الغلة التي جناها بأتعابه»، فقبض عليه واتهمه الرهبان بسرقة آنية ذهبية.

الرابعة (خليل الكافر): نشأ في الدير، ثم انتقد الرهبان لأن

أفعالهم تناقض تعاليم المسيح فطردوه. ثم وشوا بـه إلى الحاكم الإقـطاعي فقبض عليه. وقبـل أن يسجن خـطب في القـرويين، وفضح رجال الـدين، فثار القـرويون على الإقـطاعي والخوري، وحرروا خليلاً. ومات الإقطاعي غماً، وتقاسم الفلاحون أراضيه.

٤ ـ **الأجنحة المتكسرة** (١٩١٢): رواية قصيرة، بـطلتها سلمى كرامة، فتاة يتيمة الأم، غنية، ووحيدة أبيهـا. وبطلهـا فتى يحب سلمى، فتبادله حبه الطاهر. إلا أن المطران طمع بمال سلمى، فاستخدم نفوذه الديني والدنيوي ليضغط على والد سلمى، فزوّجها منصور غالب، ابن أخي المطران. ومات الوالد، وانصرف منصور إلى اللهـو والقمار، مهمـلاً زوجته التعسة. ولم يبـق لسلمى ما يعزيها سوى صديقهـا الفتى الذي كـانت تلتقي به خفيـة مرة في الشهر. فعرف المطران بهذه اللقـاءات وخافت سلمى أن يصيب فتاها أذى، فانقطعت عن رؤيته. وبعد خمس سنوات وضعت طفلاً ولكنه توفي بعد ولادته بدقائق، وما لبثت أمـه أن لحقت به.

٥ ـ **دمعة وابتسامة** (١٩١٤). مقالات وقصص وتأملات وقصائد نثرية. نشرها جبران في جريدة «المهاجر» ما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٨. يدور الكتاب حول موضوعات أربعة: المجتمع والـطبيعة والحب والوجود. يبين فيه جبران فساد المجتمع وما فيه من ظلم واستغلال وطمع وفقر بسبب طمع الأغنياء بالمال. ويرى أن الطبيعـة تمثل الخير والطهر والكمال. ويقدس الحب، فهو خالد في رأيه. وفي تأملاته يتكلم عن الصراع بين الروح والجسد، وعن قيمة الألم، وعن وحدة الوجود.

٦ ـ **المواكب** (١٩١٩): قصيدة فلسفية وتأملات جديدة في موضوعها وأسلوبها. وهي طويلة: مئتان وثلاثة أبيات، قسمت إلى أدوار على طريقة الموشحات. وتمثل الأدوار حواراً فلسفياً بين شيخ حكيم ناضج وفتى حالم. يتناول الحوار موضوعات الخير والشر، حقيقة الحياة، الحزن والفرح، الدين، العدل، القوة، العلم، الحرية، اللطف، الحب، السعادة، الروح والجسد، والموت والحياة. والشيخ ينتقد الواقع ويسخر منه.

٧ ـ **العواصف** (١٩٢٠): قصص رمزية ومقالات وقصائد نثرية، كتبها ما بين ١٩١٢ و ١٩١٨. وفيها ينتقد جبران آفات الشرقيين، ويهاجم سطحيتهم وتخلفهم وجمودهم. ويحدب على الضعيف، ويدافع عن الفقير والمظلوم. وفي بعض مقالاته يحتقر البشر («الجبابرة» و «حفار القبور»). وقصة «البنفسجة الطموح» تعرض إيمانه بوحدة الوجود. و «العبودية» تعرض إيمانه بالتقمص.

٨ ـ **البدائع والطرائف** (١٩٢٣): مقالات اجتماعية منها العهد الجديد، الاستقلال والطرابيش، لكم لبنانكم ولي لبناني . . . ولكن معظم الكتاب ذو مضمون صوفي يتناول وحدة الوجود، سمو الروح . . .

ب ـ المؤلفات الانكليزية المعرّبة

١ ـ **المجنون** (١٩١٨): أول كتبه الإنكليزية. ضم خمساً وثلاثين حكاية رمزية وقصيدة نثرية. تتناول موضوعاً واحداً: مشكلة الذات في علاقتها بنفسها، بالآخرين، بالكون وبالله، وهذا الموضوع قسمان: اجتماعي وميتافيزيقي. والكتاب يمثل الثائر على

نفسه وعلى تقاليد مجتمعه وقيمه، والمتحرّر منها[8].

٢ ـ السابق (١٩٢٠): يضم أربعاً وعشرين حكاية رمزية وقصيدة نثرية. يغلب عليه الإيمان بالتقمص وبوحدة الوجود.

٣ ـ النبي (١٩٢٣): أشهر كتب جبران. أعيد طبع النص الإنكليزي عشرات المرات. وترجم إلى أربعين لغة. مضمونه اجتماعي مثالي وتأملي فلسفي. يستهله جبران بمقدمة تصور ألم النبي أو المصطفى لمفارقة أهل مدينة أورفليس. وحين تجمَّع السكان لتوديعه، طلبوا منه أن يعطيهم بعض حكمته. جاءت مواعظه في ستة وعشرين فصلاً. تناول «النبي» شؤون المجتمع من وجهتها المثالية وكأنه أراد أن يزين للناس مثلاً أعلى يحثهم على تحقيقه. ورسالة النبي رسالة المتصوف المؤمن بوحدة الوجود، وبأن الروح تتعطش للعودة إلى مصدرها، وبأن الحب جوهر الحياة.

٤ ـ رمل وزبد (١٩٢٧): فية ثلاثمئة وتسع عشرة حكمة، يتخللها بعض الحكايات أو الأمثال الرمزية، وفيه نقد للآفات الاجتماعية كالحسد والخداع والبغض والأخذ بالمظاهر. وفيه حث على التحلي بفضائل الكرم والتواضع والتسامح ودعوة إلى المحبة؛ كما يتضمن حكماً فلسفية تعبر عن إيمان جبران الصوفي بوحدة الوجود.

٥ ـ يسوع ابن الإنسان (١٩٢٨): يؤول فيه جبران حياة المسيح وتعاليمه على ضوء آرائه الصوفية. وهو يرسم صورة المسيح من خلال ما يقوله عنه سبعة وسبعون شخصاً عرفوا المسيح. ومعظمهم

ورد ذكرهم في الأناجيل، وهم يمثلون الفئات البشرية المختلفة. ويختم الكتاب بمقارنة بين سوء فهم الناس للمسيح وتعاليمه وصورة المسيح كما ترسمه ريشة جبران المؤمن بالتصوف، فمسيح جبران ليس إلهاً كما يعتقد المسيحيون، بل إنسان حر قوي جبار متمرد على التقاليد الدينية، والاجتماعية، يعشق الفرح، ويحمل إلى الناس رسالة الغفران والمحبة التي تختلف عن رسالة اليهودية المؤمنة بإله قاسٍ غضوب يعاقب المذنبين. ويرى أن رسالة المسيح هي التي سببت نقمة اليهود عليه. والفارق بين المسيح وغيره أن المسيح أدرك الحقيقة المطلقة والكمال فحقق وحدة الوجود، في حين أن الناس الآخرين لا يزالون يتعطشون إلى تحقيق هذه الوحدة.

٦ - **آلهة الأرض** (١٩٣١): آخر مؤلفات جبران. صدر قبل موته ببضعة أيام. هو حوار شعري رمزي بين ثلاثة آلهة:

الأول سئم الوجود والبشر، فترفَّع عنهما في وحدة ولا مبالاة وطلب العدم. وفي ذلك يبين جبران خطأ من يحتقر البشرية، وييأس من الحياة والوجود.

والثاني تمسك بالوجود، وتدخّل في حياة البشر، وسيطر على نفوسهم لأنهم ضعفاء، يبين جبران بواسطته أن في كل ذات صغرى قبساً من الذات الكبرى اللامتناهية، وأن وجود الإنسان دورات حياتية تقربه من الخلاص بالعودة إلى أصل وجوده.

والثالث يرفض الموقفين: موقف الترفع واللامبالاة بشؤون البشر، وموقف احتقارهم والتحكم بحياتهم ويؤكد أن الموقف

الحق قائم على الإيمان بالجمال والحب. فهو ينفي الصراع بين الروح والجسد، ويؤكد وحدتهما وبذلك يقضي على متناقضات الوجود.

٧ ـ **التائه** (١٩٣٢): صدر بعد وفاة جبران. هو رمز العارف الذي يسخر من تقاليد المجتمع وقيمه المختلفة. فهو اسم آخر «للمجنون أو السابق». قصصه رمزية أو خرافية تنتقد المجتمع وتسخر من التكبر والغرور والجهل، ومن الفلاسفة وحقائقهم الجزئية المحدودة. وفي الكتاب يبدو إيمان جبران بوحدة الوجود والتقمص.

٨ ـ **حديقة النبي** (١٩٣٣): ظهر بعد وفاة جبران. أراده تكملة لكتاب «النبي». أكملته و سدّت النقص فيه باربرة يونغ[٩]. بدأه جبران حيث أنهى «النبي». فيعود المصطفى إلى الجزيرة التي كانت مسقط رأسه، فيرحب به سكانها ثم يتركهم وينعزل في حديقته أربعين يوماً. ثم يطلب إليه السكان أن يعلمهم ما يعرف قبل أن يرحل ثانيةً. فيتكلم عن علاقة الإنسان بالكون، ويتحدث عن الله وأسرار الوجود، وعن الروح والجسد والزمن... وغيرها من الموضوعات الصوفية الماورائية. ثم يغادر أصدقاءه ويختفي.

السابق

مقدمة عامة
دراسة وتحليل

يضم الكتاب أربعاً وعشرين حكاية رمزية وقصيدة نثرية، مهد لها جبران بمقدمة «أنت سابق نفسك»، حيث عرض بأسلوب شعري رمزي إيمانه بالتقمص وبوحدة الوجود، وهو الإتجاه الغالب على الكتاب كله. نجد هذا الإتجاه الصوفي في أربع قصائد نثرية هي «المحبة» و«طائر إيماني» و«المحتضر والشوحة» و«وراء وحدتي». كما نجده في الحكايات الرمزية التي تشكل ما تبقى من فصول الكتاب، كقصة «البهلول» و«الملك الناسك» و«بنت الأسد» و«القديس» و«الذات العظمى» و«العالم والشاعر» وغيرها. إلا أن بعض حكايات الكتاب يحتمل تفسيراً صوفياً وتفسيراً اجتماعياً، منها «الحرب والأمم الصغيرة» و«الشعراء» و«ملك أردوسة» و«المعرفة ونصف المعرفة»، مثلاً. فبالإضافة إلى مبادىء التصوف نجد فيها انتقاد الطمع، في الفصل بهذا العنوان، وانتقاد الإقتتال، وجهل الناس، وقيمهم المختلة. وفي «الشعراء» يسخر جبران من الشعراء الذين حولوا الشعر إلى زخرف فارغ وتلاعب بالألفاظ.

الإتجاه الاجتماعي في أدب جبران

نجد في «السابق» معظم مواقف جبران من المجتمع. فهو ينتقد القيم الإجتماعية المختلة في حكاية «الناقدون». كما ينتقد في هذا الكتاب اقتتال الناس والشعوب في «الحرب والأمم الصغيرة»، وجهل الناس واضطهادهم من يجرؤ على إرشادهم إلى الحقيقة في «المعرفة ونصف المعرفة». ومن المغازي الاجتماعية القليلة التي تمتزج بالمعاني الصوفية انتقاد جبران «الطمع» إذ يبيّن ما وراءه من قلق وخوف، وما ينجم عنه من ضرر. وفي «الشاعر» يسخر من الشعراء وزخارفهم وتلاعبهم بالألفاظ. وهو يعرض في حكاياته أهم عقائده الصوفية.

الاتجاه الصوفي في أدب جبران

ولا ريب في أن الغالب على كتب جبران الإنكليزية هو الاتجاه الروحاني الصوفي، لا الإتجاه الإجتماعي حتى ما قد يكون ذا مغزى اجتماعي كبعض فصول «السابق». فهل السبب في ذلك شعوره أن هموم المجتمع الأميركي ليست همومه هو المهاجر الغريب؟ أم يأسه من إصلاح المجتمع بعد أن شن عليه المحافظون الشرقيون حملاتهم العنيفة، من رجال الدين كانوا أم من النقاد والأدباء؟ وكما تخطى حدود القومية الضيقة باستخدام لغة كادت تكون عالمية، تخطى مشكلات الوجود الإنساني المحدود إلى ما وراء الوجود إلى اللامحدود. في كتبه الإنكمليزية كلها يورد جبران آراءه الماورائية في أسلوب قصصي واقعي أو رمزي، فيحاول «أن يحقق للقارىء تلاقياً مقنعاً على المسرح الواحد. وعى تفاوت في النجاح من أثر

إلى أثر، بين الحياة في تبدياتها الطبيعية والحياة في رموزاتها الماورائية. وهكذا يجتمع المرئي باللامرئي، ويلتقي الحي الراحل إلى الموت بالميت المقبل على التقمص، وينزل الآلهة إلى الأرض مثلما يرتفع أبناء الأرض إلى التألّه»، على حد تعبير الدكتور نديم نعيمة في ترجمته كتاب جبران «آلهة الأرض».

وفي مقدمة كتابه، يبين جبران أن روح الإنسان انفصلت عن الله. ولكنها تحتفظ بذكرى الكمال الذي هو أصل وجودها، فيبقى فيها حنين العودة إليه. وإن كان جوهر الناس من جوهر الوجود المطلق، يترتب على ذلك أن يكون الناس جميعاً متساوين. ولذلك يقول «السابق» لصاحبه: «وها نحن الآن في يدي الله، فأنت شمس منيرة في يمناه، وأنا أرض مستنيرة في يسراه، ولكن قوتك في الإنارة ليست بأفضل من قوتي في الاستنارة». إنها مساواة ميتافيزيقية، مساواة الناس في الأصل والمصير.

حنين الذات إلى المطلق

وعلى غرار الأفلاطونية الجديدة والصوفية آمن الرومنسيون بأن ما يحجب الذات الفردية عن الذات العظمى، عن الكمال، مصدروجودها، هو هذا الجسد، السجن المادي، الذي يقيد الروح ويسبب النقص في الإنسان. يؤكد جبران في «طائر إيماني»: «إني مقيد بالسلاسل الحديدية في غيابات هذا السجن المحدود، تفصلني عنك هذه الحواجز من اللحم والعظم، وليس لي أن أطير معك إلى عالم اللامحدود». وقصيدته «وراء وحدتي» صرخة نابعة من أعماق نفس راغبة في التحرر من حواجز الحس لكي «يحلّق

نسر روحي طائراً أمام وجه الشمس».

وجبران يبيّن أن المعرفة التي يدركها العقل معرفة ناقصة وزائلة. فحكاية «العالم والشاعر» الرمزية تظهر أن الحقيقة التي يستهدي إليها العالم بعقله حقيقة محدودة، مهما بلغ حظها من العمق والصحة والجمال. أما الشاعر فيتخطى الحقيقة الجزئية المحدودة بفضل حدسه وخياله اللذين حرراه من قيود المادة والمنطق على السواء، كما أظهر الحوار بين الحية والحسون في فصل هذه الحكاية.

الوجود حركة دائمة

وما دام في الإنسان حنين إلى مصدر وجوده، يدفعه هذا الحنين إلى التخلص من النقص فيه والإقتراب من الكمال، لذلك يكون الوجود في حركة دائمة وتحول أبدي.

فقصيدة «المحبة» تؤكد جوع الصوفي وعطشه إلى الكمال، إلى الله، بل يطلب الشاعر الفناء جوعاً وعطشاً للإقتراب من المطلق. وهذا الطلب ذو علاقة مباشرة بإيمانه بالتقمص.

والموت نفسه ليس جموداً في نظر جبران، وإنما انتقال من دورة حياتية إلى دورة حياتية أخرى في سلسلة لا نهاية لها من الحيوات حتى يعود الإنسان إلى مصدر وجوده ويتحد به.

وجبران ينظر نظرة متفائلة إلى حركة الوجود هذه، إذ يعتبر أن كل دورة حياتية أفضل من التي سبقتها. وعليه يقول «السابق» لصاحبه:

«أنت سابق نفسك يا صاحِ، وما الأبراج التي أقمتها في حياتك

سوى أساس لذاتك الجبارة. وهذه الذات في حينها ستكون أساساً لغيرها. وأنا مثلك سابق نفسي، لأن الظل المنبسط أمامي عند شروق الشمس سيتقلّص تحت قدمي عند الظهيرة. وسيعقب هذا الشروق شروق آخر، فيحدث ظلاً ثانياً أمامي، ولكن هذا الظل عينه سيتقلّص تحت قدمي أيضاً في ظهيرة أخرى. منذ البدء ونحن سابقو نفوسنا، وسنبقى سابقي نفوسنا إلى الأبد».

ولأن المتعطش إلى الكمال والحقيقة يعرف أن تعطشه يدنيه منهما يستسلم راضياً بعذاب تعطشه الدائم. وإذا تحققت وحدة الوجود تزول المتناقضات. ففي وحدة الوجود لا يبقى فارق بين الحياة والموت، بين الغد والأمس، يقول جبران في «السابق»:

«فما الأمس سوى الموت مطروداً ولا الغد سوى الميلاد مقصوداً». ولذلك تساوي قصة «القديس» بين اللص والقديس، وتزيل قصة «الخلافات» التناقض بين الملك وعدوه. ولكن الحلم الصوفي بوحدة الوجود لن يتحقق في الواقع، فالكمال مستحيل، ولذا يؤكد «السابق»:

«وما نحن والشمس والأرض، إلا لبداءة شمس أعظم وأرض أعظم، وسنبقى بداءة إلى الأبد».

العوامل المؤثرة في أدب جبران الانكليزي

وللمسيحية أثر واضح في مؤلفات جبران الإنكليزية، وإن أوّلها تأويلاً خاصاً. فكثيراً ما استمد «السابق» صوره من الإنجيل. ففي فصل «المحبة» استخدم جبران صورتي الخبز والخمر اللذين تتخذهما المسيحية رمز جسد المسيح المصلوب ودمه المسفوح.

وقصائده النثرية تميزها النفحة الشعرية التي نجدها في الإنجيل وصلوات الكنيسة من حيث التكرار وإيقاع الموازنات والمقابلات.

أسلوب جبران

وقد كثف جبران معانيه في جمل موجزة بعيدة الإيحاء تفتقر إلى إعمال الفكر لنفهمها، فضلاً على أنها تحتمل قراءات عديدة. فلقد أسلفنا الإشارة إلى فصول «السابق» التي تكون لها دلالة اجتماعية ودلالة صوفية في الوقت نفسه.

أما نثره الشعري فيتجلى في سلسلة النداءات والابتهالات الموجهة إلى «المحبة»، مثلاً، وهي تشبه ابتهالات المسيحيين إلى الله، أو العذراء، وفي القصيدة النثرية «وراء وحدتي» من «السابق» سلسلة استفهامات موحية بتعطش جبران الشديد إلى «ذاته الحرة الطليقة»، وبرغبته في إدراكها، وألمه لأنه «حدث مضطرب هائم بعد» لم يتحرر من سجن ذاته المحدودة. وقد يكون فصل الكتاب بكامله نجوى عاطفية موجهة إلى الموت، مثلاً، تنم عن توق الأديب إليه، كما في «المحتضر والشوحة».

وكما في نثره العربي يعني جبران في نثره الإنكليزي أيضاً بإيقاع اللفظة والتركيب، إيقاع التكرار في مقدمة «السابق».

وعلى غرار المتصوفين أحس جبران أن اللفظة المباشرة محدودة الدلالة وعاجزة عن الإحاطة بسمو المعنى الروحاني، ولذلك أوحى إليه بالرمز. «فالبهلول» في كتاب «السابق» مجنون آخر ولو أنه خلا من قلق «المجنون» ونقمته وحقده وسخريته. و«السابق» نفسه رمز

من تحول من دورة حياتية إلى دورة أفضل، وقد مهَّد هذا الكتاب لظهور «النبي». في الإنجيل «سبق» مجيء يوحنا المعمدان مجيء المسيح (النبي) وبشرَّ به. وبذلك يكون لكلمة «السابق» **دلالة صوفية** وأخرى **تاريخية**. ومن البراهين على أن كتاب «النبي» إتمام «للسابق» أن المحبة التي كانت موضوع الفصل الأخير من «السابق» كانت موضوع الموعظة الأولى من مواعظ «النبي». وإلى وحدة الوجود يرمز جبران «بالبحر»، أو «الذات الكبرى»، أو «البحر الأعظم»، فيما كانت «الجداول» رمز الذوات الفردية التي تصب فيه. و«الشمس» أو «وجه الشمس» رمز الحقيقة المطلقة والكمال، وقد جعل أفلاطون الشمس على رأس العالم لأن لا ظل فيها. ونكتفي بهذه الأمثلة القليلة لأن من المستحيل أن نعرض لرموز جبران كلها.

ولم تقتصر رموزه على اللفظة أو الصورة، وإنما تعدتها لتصبح **حكاية** ترمز إلى الحقائق الاجتماعية أو الماورائية التي يعرضها أديبنا. **فالحكاية الرمزية** قديمة في الآداب الشرقية نجدها في الأناجيل، في «كليلة ودمنة» وفي قصصنا الشعبي، مثلاً. ومعظم فصول «السابق» **حكايات رمزية** فيها ما هو عادي وصريح المغزى، كقصص «الطمع» و«الحرب والأمم الصغيرة» كما أن فيها قصصاً طريفة مبتكرة.

و«المجنون» الناقم المتمرد الحاقد على نفسه وعلى الآخرين يتحول في«السابق» إلى «البهلول» المطمئن إلى نفسه وإلى من حوله. وكأن جبران قد أحس أن الذات لا يمكن أن تتخطى نفسها

لتقترب من الذات العظمى ما دام فيها كره واحتقار وسخرية ونقمة.
ولذلك انتهى «السابق» بتقديس الحب. وكان «النبي» ما تحوَّل إليه «السابق» في حياة أفضل، فاستهل مواعظه بالكلام على الحب الذي هو ناموس الحياة وجوهرها، وكانت آراؤه مثالية.

د. نازك سابايارد

المصادر والمراجع

1 - The letters of Kahlil Gibran and Mary Haskell, arranged and edited by Annie Salem Otto, Houston,Texas, 1970, P. 35.

1 - J. & K. Gibran, Kahlil Gibran, His Life and World, Avenel Books, New York, 1981, P. 38.

2 - The letters of Kahlil Gibran and Mary Haskell, P. 64.

3 - Kahlil Gibran, His Life & World, PP. 387 - 388, 395 - 396.

4 - The Letters, P. 674.

5 - The Letters, PP 67. 114, 183, 226, 398, 444.

6 - Kahlil Gibran, His Life & World, PP. 263, 345.

7 - The Letters, PP. 234 - 236, 373.

٨ - الشعلة الزرقاء، تحقيق وتقديم سلمى الحفّار الكزبري والدكتور سهيل بشروئي، دمشق، ١٩٧٩، ص ٨٠.

9 - B. Young, This Man from Lebanon, 8.ed., New York, 1956, PP. 119 - 120.

جبران خليل جبران



السَّابِق

(١٩٢٠)

تعريب : الأرشمندريت أنطونيوس بشير

The FORERUNNER

by Kahlil Gibran

أنت سابق نفسك

أنت سابق نفسك يا صاح، وما الأبراج التي أقمتها في حياتك سوى أساس لـذاتك الجبـارة. وهذه الـذات في حينها ستكون أساساً لغيرها.

وأنا مثلك سابقٌ نفسي، لأن الظلّ المنبسط أمامي عند شـروق الشمس سيتقلص تحت قـدمي عنـد الـظهيـرة. وسيعقب هذا الشروقَ شـروقٌ آخر، فيحـدث ظلاًّ ثـانياً أمامي، ولكن هذا الظلّ عينه سيتقلص تحت قدمي أيضاً في ظهيرة أخرى.

منذ البدء ونحن سابقو نفوسنا، وسنبقى سابقي نفوسنا إلى الأبد. وليس ما حشدنا ونحشدُ في حياتنا سوى بذور نُعـدّهـا لحقــول لم تُفلَح بعـد. نحن الحقــول ونحن الزارعون. نحن الأثمار ونحن المستثمرون.

عنـدما كنتَ يـا صاح فكـرةً هائمـة في الضباب كنتُ هنالك فكرة هائمة مثلك، فنشدتُك ونشدتني، فكانت من

تشوّقاتنا الأحلام، والأحلام كانت زماناً بلا قيود والأحلام كانت فضاء بلا حدود.

وعندما كنت كلمة صامتة بين شفتي الحياة المرتعشتين، كنت أنا مثلك هنالك كلمة صامتة، وما تلفظت الحياة بنا حتى برزنا إلى الوجود وقلبانا يخفقان بتذكارات الأمس والحنين إلى الغد. وما الأمس سوى الموت مطروداً ولا الغد سوى الميلاد مقصوداً.

وها نحن الآن في يدي الله، فأنت شمسٌ منيرةٌ في يمناه، وأنا أرض مستنيرة في يسراه، ولكن قوتك على الإنارة ليس بأفضل من قوتي على الاستنارة.

وما نحن، الشمس والأرض، إلا بداءة لشمس أعظم وأرض أعظم، وسنبقى بداءة إلى الأبد.

أنت سابق نفسك أيها الغريب العابر بباب حديقتي، وأنا مثلك سابق نفسي، ولو كنت أجلس في ظلال أشجاري وأبدو ساكناً هادئاً.

البهلول

جاء في قديم الزمان رجل من البادية إلى مدينة الشريعة العظيمة، وكان بهلولاً خياليّاً، ولم يكن له من متاع سوى ثوبه وعصاه.

فكان يطوف في شوارع المدينة ويتأمل هياكلها وأبراجها وقصورها بأعجاب وإجلال، لأن مدينة الشريعة كانت غاية في الجمال. وكان بين الآونة والأخرى يخاطب العابرين به مستفهماً عن مدينتهم وغرائبها، فلم يفهموا لغته كما أنَّه لم يفهم لغة أحد منهم.

وعند انتصاف النهار وقف أمام فندق فسيح الأرجاء، بديع الهندسة، والإتقان، وكان الناس يدخلون إليه ويخرجون منه من غير اعتراض.

فقال البهلول في ذاته: «لا شكّ أن هذا مزار مقدس». ودخل مع الداخلين.

وشدّ ما كانت حيرته عندما وجد نفسه في بهوٍ عظيم،

وكبراء القوم، من رجال ونساء، جالسون إلى كثير من الموائد الأنيقة، يأكلون ويشربون، والموسيقيون يشنفون آذانهم بأطرب العزف والغناء.

فقال البهلول إذ ذاك في ذاته: «قد ضللت، فما هذه بالعبادة التي توهمت، بل هذه مأدبة أعدّها الأمير لشعبه تذكاراً لحادث جلل».

وفي تلك الدقيقة دنا منه رجل، خُيّل إليه أنّه عبد الأمير وسأله أن يجلس مع الجالسين، فجلس. فقدمت إليه اللحوم، والخمور، والحلوى أفخرها وأشهاها، فأكل هنيئاً وشرب مريئاً.

وعندما بلغ كفافه همّ بالإنصراف، ولكنه ما وصل إلى الباب حتى دنا منه رجل بادنٌ متأنّق اللباس فأوقفه.

فقال البهلول في نفسه: «لا شك أن هذا هو الأمير بعينه». فانحنى أمامه وحياه باحترام وشكره بلغة قبيلته.

أما الرجل البادن فخاطبه بلغة المدينة، قائلاً له: «يا سيدي إنّك لم تدفع بعد ثمن غذائك».

فلم يفهم البهلول شيئاً، ولكنه شكره ثانية من صميم قلبه. فتأمّله الرجل البادن جيداً، وبعد أن أنعم النظر في وجهه مليّاً، أدرك أنّه غريب عن المدينة، وعرف من ثيابه

الرثة أنه فقير الحال وليس له ما يدفعه ثمن غدائه، فصفق منادياً، فجاء على الفور أربعة من حراس المدينة ومثلوا بين يديه، فقصّ عليهم قصّة البهلول، فألقوا القبض عليه في الحال، ومشوا به اثنين اثنين إلى جانبيه، أما البهلول فكان يتأمّل ملابسهم المزركشة، وهو يكاد يطير فرحاً، قائلاً في سرّه: «لا شكّ في أنّ هؤلاء من أشراف المدينة».

فسار الحراس به إلى أن بلغوا دار القضاء، فدخلوا إلى قاعة المحاكمة، فرأى البهلول أمامه، في صدر تلك القاعة، رجلاً جليلاً، جالساً على منصة عالية، تجلله المهابة وتزيده لحيته البيضاء المسترسلة على صدره هيبةً ووقاراً. فخُيل إليه أنّه الملك بعينه، وطارت نفسه فرحاً لمثوله أمامه.

ثم بسط الحراس دعواهم إلى القاضي، فعيّن القاضي محاميين، واحداً ليدّعي على البهلول، وآخر ليتولى الدفاع عنه. فنهض المحاميان الواحد تلو الآخر وأدلى كلّ بحججه.

أما البهلول فظنّ أنهما يرحبان به باسم الملك، فامتلأ قلبه بعواطف المنّة ومعرفة الجميل للملك، وللأمير، على كل ما جرى له.

وعند انتهاء المحاكمة حكم القاضي بما يأتي على البهلول: «يجب أن تكتب جريمته على لوحة، وتعلّق على صدره، ثم يركب حصاناً عارياً، ويطاف به في المدينة، ويسير المزمرون والمطبلون أمامه».

فنُفِّذ الحكم في الحال، وأُركب البهلول حصاناً عارياً وطيف به في شوارع المدينة، وسار المزمرون والمطبلون أمامه. وكان سكان المدينة يتراكضون على سماع الأصوات فينظرون إليه وهو على تلك الحالة، ويغربون في الضحك أفراداً وجماعات. وكان الأولاد يركضون وراءه من شارع إلى شارع زرافات زرافات.

أما البهلول فكان ينظر إليهم بعينين مشرقتين فرحاً والدهش آخذ منه مأخذه. لأنّه كان يعتقد أن اللوحة المعلقة على صدره إنما هي وسام قدمه له الملك عربون بركته ورضاه عن زيارته، وإن ذلك الموكب ما سار إلا احتفاء بحضرته.

وحدث أنّه فيما هو راكب والجمع يحشده، رأى بينهم بدويّاً من قبيلته، فاختلج قلبه طرباً، وهتف به بأعلى صوته قائلاً: «بربك يا صاح! أين نحن الآن؟ أليست هذه المدينة التي يسميها شيوخنا مدينة رغائب القلب، وشعبها

الأريحيون الفياضون، الذين يحتفون بعابر السبيل في قصورهم، ويرافقه أمراؤهم، ويشرّف ملكهم صدره بالنياشين فاتحاً له أبواب مدينته الهابطة من السماء؟».

فلم يقل البدوي الثاني كلمة قط، ولكنه تبسم وهزّ رأسه.

أما الموكب فاستمرّ في سيره. وكان وجه البهلول مرتفعاً أبداً والنور يفيض من عينيه.



المحبة

يقولون إن ابن آوى يشرب من الجدول الواحد الذي يشرب منه الأسد.

ويقولون إن النسر والشوحة ينقدان الجيفة الواحدة وهما متفقان متسالمان.

فيا أيتها المحبة العادلة.

يا من كبحت جماح رغائبي بيدك القديرة،
وحولت مجاعتي وعطشي إلى إباءٍ وشمم.

لا تأذني للقوي العزوم فيّ أن يأكل الخبز، أو يشرب الخمر، اللذين يستهويان ذاتي الضعيفة.

ذريني بالأحرى فأقضي جوعاً، بل دعي قلبي يتلهب عطشاً.

واتركيني أموت وأفنى، قبل أن أمدّ يدي لقدح لم تملأيه أو كأس لم تباركيها.

الملك الناسك

خُبّرت أن فتى يعيش في غابة بين الجبال، وأنّـه كان فيما مضى ملكاً على بلاد واسعة الأرجاء في عبر النهرين. وقيل لي أيضاً إن هذا الفتى قد تخلى، بملء اختياره، عن عرشه وعن أرض أمجاده، وجاء ليستوطن القفار.

فقلت في نفسي: لأسعينّ إلى ذلـك الرجـل سعيـاً، وأقف على مـا في قلبه من الأسـرار، لأن من يتنزل عن الملك فهو بلا شك أعظم من المُلك!!!

فذهبت على الفور إلى الغابة حيثما كان قاطناً. فوجدته جالساً في ظلال سروة بيضاء، وبيده قصبة كان ممسكاً بها كأنما هي صولجانه. فحييته تحيـة الملوك، وبعد أن ردّ التحيّة التفت إليّ وقال بلطف: «ما عساك تبتغي في هذا الغاب الأعزل يا صاحبي؟ أجئتَ تنشـد ذاتاً ضـائعةً في الظلال الخضراء، أم هي عـودة إلى مسقط رأسك عنـد انقضاء شغل النهار؟».

فأجبته قائلاً: «إنّني ما نشدت إلاّك، ولا شاقني إلاّ الوقوف على ما حدا بك إلى استبدال مملكتك الكبيرة بهذه الغابة الحقيرة!».

فقال: «وجيزة هي قصتي، فقد انطفأت فقاقيع غروري فجأة. وإليك حكايتي:

بينما كنت جالساً إلى نافذة في قصري، كان وزيري يتمشى مع سفير أجنبي في حديقتي. وعندما صارا على مقربة من نافذتي سمعت الوزير يتكلم عن نفسه قائلاً: «أنا مثل الملك أتعطش للخمرة المعتقة، وأعشق جميع ضروب المقامرة، ويثور بي ثائر الغضب كسيدي الملك». ثم توارى الوزير والسفير بين الأشجار. ولكنهما ما لبثا أن عادا بعد برهة، وإذا بالوزير يتكلم عنّي في هذه المرة قائلاً: «إن سيدي الملك مثلي يحسن الرماية، ويتعشق الألحان، وهو مثلي يستحمّ ثلاثاً في النهار».

وسكت لحظة ثم زاد قائلاً: «في عشية ذلك اليوم تركت بلاطي، ولا شيء معي سوى عباءتي، لأني لم أشأ بعد ذلك أن أكون ملكاً على قوم يدعون نقائصي لأنفسهم ويعزون فضائلهم إليَّ».

فقلت له: «ما أغرب قصتك، وما أعجب أمرك!».

فأجابني قائلاً: «ليس هنالك من غرابة يا صاحبي، فقد قرعت أبواب سكينتي طامعاً منها بالكثير، فلم يكن لك منها سوى اليسير. بربك قل لي: من لا يستبدل مملكة بغابةٍ تترنم فيها الفصول، وترقص طروباً أبداً؟ كثيرون هم الذين تركوا ممالكهم ليستبدلوا بها أدنى مراتب الوحدة والتمتّع بحياة العزلة السعيدة، وكم هنالك من نسور هبطت من جوها الأعلى، لتعيش مع المناجذ في أنفاقها الصامتة فتتفهم أسرار الغبراء! بل ما أكثر الذين يعتزلون مملكة الأحلام لئلاّ يظهروا للناس أنهم بعيدون عمن لا أحلام في نفوسهم، والذين يعتزلون مملكة العري، ساترين عرية نفوسهم، حتى لا يستحي الأحرار من النظر إلى الحقّ عارياً والتأمل بالجمال سافراً. وأعظم من هؤلاء جميعهم ذاك الذي يعتزل مملكة الحزن. لكي لا يظهر للناس معجباً مفاخراً بكآبته».

ثم نهض متوكئاً على قصبته وقال: «ارجع الآن إلى المدينة العظمى، وقف بأبوابها مراقباً جميع الداخلين إليها والخارجين منها. واعنَ بأن تجدَ الرجل الذي على رغم أنه وُلد ملكاً فهو بدون مملكة. والرجل الذي على رغم أنه مسودٌ بجسده فهو سائد بروحه، ولكنه لا يدري بذلك ولا رعاياه يدرون بسيادته. والرجل الذي يبدو للعيان حاكماً

ولكنه في الحقيقة عبد لعبيد عبيده».

وبعد أن فرغ من كـلامه نـظر إليّ، فلاحت لي منـه ابتسامة خلتها ألف فجرٍ وفجر.

ثم تحوّل عني متغلغلاً في قلب الغابة.

أما أنا فرجعت إلى المدينـة، ووقفت بأبـوابها أراقب العابرين بي، على نحو ما قال لي. وما أكثر الملوك الذين مرت ظلالهم فوقي، منذ ذلك اليوم حتى الساعة، وأقلّ الرعايا الذين مرّ فوقهم ظلّي!.

الظلم مرتع وخيم

هذه أغنية التنينة التي تحرس كهوف البحر السبعة:

«سيأتي قريني راكباً على الأمواج،

«وسيملأ الأرض رعباً بهديره العجاج،

«وستندلع نيران منخريه في أقاصي الفضاء،

«عند خسوف القمر سأزف إليه،

«وعند كسوف الشمس سألد جورجيوس آخر فيذبحني».

هذه أغنية التنينة التي تحرس كهوف البحر السبعة.

بنت الأسد

وقف أربعة عبيد يروّحون بمراوحهم لملكة حيزبون كانت نائمة على عرشها تغطّ غطيطاً غليظاً. وكان في حضن الملكة هرّةٌ متكئة تموء وهي تنظر إلى العبيد نظرة كره واشمئزاز.

فقال العبد الأول لرفقائه: «ما أبشع هذه الحيزبون نائمة! انظروا كيف تراخت شفتاها، وهي تصعّد أنفاسها كأنما الشيطان آخذ بخناقها».

فماءت الهرّة قائلة: «إن بشاعتها في رقدتها ليست جزءاً من بشاعتكم في عبوديتكم وأنتم مستيقظون».

ثم قال العبد الثاني: «ومن الغريب أن النوم لم يلطف ملامح وجهها، بل زادها تجعداً، فهي ولا شكّ حالمة حلماً شريراً راعباً».

فماءت الهرة قائلة لهم: «حبذا لو تنامون أنتم وتحلمون بحريتكم!».

فقال العبد الثالث لرفقائه أيضاً: «يلوح لي أنها ترى في منامها موكب جميع ضحاياها الذين قتلتهم ظلماً وعدواناً».

فماءت الهرة قائلة: «نعم، فهي ترى مواكب أجدادكم وحفدتكم».

ثم قال العبد الرابع: «ما أغباكم تتحدثون عن هذه الملكة وهي نائمة، وماذا يجديكم الحديث نفعاً أو يجديني؟ ألعلّه يخفف عني نصيبي في وقوفي وعنائي في ترويحي لها؟».

فقالت الهرة وهي تموء: «أجل، إنّكم ستروّحون إلى دهر الداهرين، لأنّه كما على الأرض كذلك في السماء».

وفي تلك اللحظة تحركت الملكة في نومها فسقط تاجها على الأرض فقال واحدٌ من العبيد: «إن في ذلك لشؤماً!».

فماءت الهرة وقالت: «مصائب قوم عند قوم فوائد».

فقال العبد الثاني: «ماذا يحلّ بنا إذا أفاقت الآن من نومها ورأت تاجها ساقطاً على الأرض؟ والله إنها تذبحنا جميعنا!».

فماءت الهرة قائلة: «قد كانت تذبحكم منـذ ميلادكم أيها الأغبياء وأنتم لا تعلمون».

وقال العبد الثالث: «إنها ولا شكّ تذبحنا، وتعتبر أنها بعملها هذا إنما تقرب عبادة لآلهتها».

فماءت الهرة قائلة: «لا يُضحّى للآلهة إلا الضعفاء».

أما العبد الرابع فـأسكت رفقاءه عن الكـلام، والتقط التاج بتأنّ ووضعه على رأس الملكة من غير أن يوقظها.

فماءت الهرة وقالت بصوت عال: «الحقّ أقول لكم إنّه لا يلتقط التيجان المتدحرجة سوى العبيد».

وبعد هنيهة استيقظت الملكة، وتلفتت حواليها متثائبة ثم قالت لعبيدها: يخيّـل إليّ أني حلمت بأني رأيت أربع حشرات يطاردها عقرب حول جذع سنديانة جبارة. قبّحه الله من حلم مزعج!».

وأطبقت عينيهـا فنامت ثـانية بعـد أن مـلأت القـاعـة بغطيطها، فطفق العبيد الأربعة يروّحون لهـا على جاري عادتهم.

أمّا الهرّة فماءت قائلة: «روّحوا، روّحوا أيهـا العميان والأغبياء، فأنتم لا تروّحون إلاّ ناراً تلتهم وجودكم!».

القديس

زرت في حداثتي قديساً في صومعته الهادئة، القائمة بين التلال ، وفيما كنا نبحث ماهية الفضيلة أطلّ علينا لصّ وهو يتعرّج على الجانبين فوق الروابي ، والتعب قد أعياه. وعندما وصل إلى الصومعة جثا على ركبتيه أمام القديس وقال له: «أيها القديس الشفيق قد جئتك طالباً تعزية ، فإن آثامي قد تعالت فوق رأسي».

فأجابه القديس قائلاً: «يا ابني ، إن آثامي أنا أيضاً قد تعالت فوق رأسي».

فقال له اللص «عفوك يا سيدي! فأنا سارق، وقاطع طريق، ويستحيل أن تكون مثلي».

فأجابه القديس: «إنّك واهمٌ يا ابني ، فأنني بالحقيقة مثلك سارق وقاطع طريق».

فقال له اللص: «ماذا تقول يا سيدي؟ فأنا قاتل ودماء الكثيرين من الناس تصرخ في أذني».

فأجابه القديس قائلاً: «وأنا أيضاً قاتل يا ابني ، وفي

أذني تصرخ دماء الكثيرين».

فقال له اللص: «يا سيدي أنا قد ارتكبت شروراً لا تحصى، وجرائم لا عداد لها، فكيف تساوي نفسك بي وأنت رجل الله البار؟».

فأجابه القديس وقال: «لو أنّك عرفتَ كثرة شروري لما ذكرت شرورك».

فانتصب اللص إذا ذاك وحدّق إلى القديس طويلاً، وملء عينيه دهشة وغرابة، ومضى من غير أن ينبس ببنت شفة.

أما أنا فكنت صامتاً إلى تلك الدقيقة. فالتفت آنئذٍ إلى القديس، وسألته قائلاً: «ما دعاك إلى أن تنسب لنفسك شروراً لم ترتكبها قطّ يا سيدي؟ ألا ترى أن هذا الرجل قد مضى ولم يعد من المصدقين بدعوتك، والمؤمنين ببشارتك؟».

فأجاب القديس وقال: «أجل يا بني. فإنّك بالصواب حكمت، بأنّه لم يعد من المصدقين بدعوتي، ولكن الحقّ أقول لك إنّه قد انصرف والعزاء يملأ فؤاده».

وفي تلك اللحظة سمعنا اللص يغني من بعيد، وكانت الأودية تردّد صدى صوته الممتلىء بالمسرة والتعزية.

الطمع

رأيت في جولاني في الأرض وحشاً على جزيرة جرداء له رأس بشري، وحوافر من حديد.

وكان يأكل من الأرض ويشرب من البحر بلا انقطاع. فوقفت أراقبه ردحاً، ثم دنوت منه وسألته قائلاً: «ألم تبلغ كفافك بعدُ؟ أليس لجوعك من شبع أو لظمإك من ارتواء؟».

فأجابني وقال: «نعم، نعم قد بلغت كفافي بل قد مَللت الأكل والشرب ولكنني أخاف أن لا تبقى إلى غد أرض لآكل منها وبحر لأرتوي من مائه».

الذات العظمى

حدث بعد تتويج نُفسيبعل، ملك جبيل، أنّه انصرف إلى مقصورته، وهي الغرفة التي بناها لـه عرافـو الجبل النسـاك، فنزع تـاجه، وخلع «بـرفيـره» ووقفـ في وسط المقصورة، مفكراً في عـظمته المتنـاهية، كملك جبيـل الواسع السلطان في ذلك الزمان.

وكان في صدر تلك المقصورة مرآة مفضضـة الإطار، أهدتها إليه أمه، فالتفت إليها بغتة، وإذا برجـل عارٍ قـد خرج منها وتقدم إليه.

فأخذ الرعب بمجامع قلبه وصرخ بالرجل قائلاً: «ماذا تريد أيها الرجل؟».

فأجابه الرجل وقال: «أودّ شيئاً واحداً أيها الملك، وهو أن تخبرني لماذا توّجوك ملكاً على هذه البلاد؟».

فقال له الملك: «قد توّجوني مليكاً عليهم لأنّني أنبل رجل بينهم».

فقال له الرجل: «والله لو كنت أنبل مما أنت لما قبلت الملك».

فأجابه الملك: «بل إنما توّجوني لأنّني أشدّهم بأساً وقدرة».

فقال له الرجل: «لو كنت بالحقيقة أشدّهم بأساً لما قبلت أن تكون مليكاً عليهم».

فقال له الملك: «ألا إنما توّجني شعبي لأنّني أوفرهم حكمة».

فأجابه الرجل قائلاً: «والله لو كنت أوفر حكمة مما أنت الآن لما اخترت أن تكون ملكاً».

فسقط الملك حينئذٍ على الأرض وبكى بكاءً مرّاً. أما الرجل العاري فكان ينظر إليه بشفقة وحنان آسفاً على جهله وغروره. ثم تناول تاج الملك المتدحرج على الأرض ووضعه بلطف على رأسه المنحني، وعاد فدخل في المرآة كما خرج وهو ينظر إلى الملك برقة وحسرة.

أما الملك فنهض بغتة إلى المرآة، وتأملها جيداً فلم يرَ هنالك أحداً إلاه وتاجه على رأسه.

الحرب والأمم الصغيرة

كان في أحد المروج نعجة وحمل يرعيان. وكان فوقهما في الجوّ نسرٌ يحوم ناظراً إلى الحمل بعين جائعة يبغي افتراسه. وبينما هو يهمّ بالهبوط لاقتناص فريسته، جاء نسر آخر وبدأ يرفرف فوق النعجة وصغيرها وفي أعماقه جشع زميله.

فتلاقيا وتقاتلا حتى ملأ صراخهما الوحشي أطراف الفضاء.

فرفعت النعجة نظرها إليهما منذهلة، والتفتت إلى حملها وقالت له:

«تأمل يا ولدي، ما أغرب قتال هذين الطائرين الكريمين! أَوَليس من العار عليهما أن يتقاتلا، وهذا الجو الواسع كافٍ لكليهما ليعيشا متسالمين؟ ولكن صلّ يا صغيري، صلّ في قلبك إلى الله، لكي يرسل سلاماً إلى أخويك المجنحين!».

فصلى الحمل من أعماق قلبه!

الناقدون

في عشية أحد الأيام كان المسافر راكباً حصانه وسائراً إلى الساحل، فوصل في طريقه إلى فندق. فترجل وربط حصانه إلى شجـرة أمام البـاب، لأنّه كـان واثقاً بـالليل وبالناس شأن أقرانه المسافرين إلى السواحـل، ثم دخل إلى الفندق مع الداخلين.

وعند انتصاف الليل كان جميع من في الفندق نياماً، فجاء لصّ وسرق حصان المسافر فلم يدرِ به أحد.

وفي الصباح نهض المسافر من نومه، وجاء على الفور إلى حيث ربط حصانه فلم يجده. وبعد أن فتش عنه جيداً عرف أن لصّاً سرقه في تلك الليلة، فتأثر كثيراً على فقد حصانه، ولكنه حزن بالأكثر على أن بين الناس من يغريه الشرّ فيعمد إلى السرقة.

وعندما عرف رفقاؤه المسافرون بما جرى له، تجمعوا حواليه، وبدأوا ينحون عليه باللائمة معنفين إياه.

فقال الأول: «ما أحمقك أيها الرجل! لماذا ربطت حصانك خارج الاصطبل؟».

ثم قال له الثاني: «إنَّني أستغرب كيف أنَّك لم تحجل (تقيّد) الحصان عندما ربطته. فما أوفر جهلك؟».

فقال الثالث لرفيقيه: «إنَّ السفر إلى البحر على ظهور الخيول غباوةٌ من أساسه».

وقال الرابع: «أما أنا فأعتقد أنّه لا يقتني الخيول إلا كل بليد بطيء الخطى».

فدهش المسافر لبلاغتهم وفصاحتهم في الوعظ والإرشاد بعد فوات الأوان. ثمّ قال لهم وهو يتميز غيظاً: «أيها الأصحاب. عندما سرق حصاني جاءتكم الفصاحة عفواً، فأسرعتم الواحد تلو الآخر تعددون هفواتي وزلاتي، ولكن يدهشني كيف أنّكم، مع ما أوتيتم من قوة البيان، لم يقل أحد منك كلمة عمّن سرق الحصان!».

الشعراء

كان أربعة من الشعراء جالسين إلى خوان، وكان على الخوان إناء من الخمر.

فقال الشاعر الأول: «يخيل إليّ أني أرى عبير هذا الخمر مرفرفاً في الفضاء، كسحابة من الطيور في غاب مسحور».

فرفع الشاعر الثاني رأسه وقال: «أما أنا فإني أسمع بأذني الباطنة هذه الطيور تغرّد فتأخذ ألحانها بمجامع قلبي فتأسره كما تأسر الزنبقة النحلة بين وريقاتها».

فأغمض الشاعر الثالث عينيه ورفع ذراعه وقال: «أما أنا فإني أكاد ألامسها بيدي، وأشعر بحفيف أجنحتها يهبّ في وجهي كأنّه لهاثُ جنيّة نائمة».

فنهض الشاعر الرابع إذ ذاك، ورفع الإناء بيديه وقال: «عفوكم أيها الاخوان! فإنّي ضعيف البصر، ثقيل السمع، كليل اللمس، فليس في طاقتي أن أرى عبير هذه الخمرة،

ولا أن أسمع غناءها، ولا أن أشعر برفرفة أجنحتها. أوّاه! إنّني لا أشعر بغير الخمرة ذاتها، ولذلك يجب أن أشربها لتوقظ حواسي الخاملة، وتشعل روحي بنار بركتكم العلويّة ووحيكم الطهور».

ثم وضع إناء الخمر على شفتيه وأتى على آخر نقطة فيه.

أما الشعراء الثلاثة رفقاؤه، فكانوا ينظرون إليه بدهشة، فاتحين أشداقهم، وفي عيونهم غُلَّةٌ لا تُروى لهبتها وبغضة لا تخمد حدتها.

دوارة الريح

قالت دوّارة الريح للريح: «قبحك الله، ما أثقلك وما أملّك! أليس في وسعك أن تهبّي في وجه غير وجهي؟ ألا تعلمين أنّك بعملك هذا إنما تعكرين صفو ثباتي الـذي أعطانيه الله؟».

فلم تجب الـريـح بكلمـة قطّ، ولكنهـا ضحكت في الفضاء.

ملك أردوسة

مَثَل شيوخ مدينة «اردوسة» مرة في حضرة الملك، والتمسوا منه أمراً يقضي بمنع المسكرات في مدينتهم.

فلم يجب الملك سؤلهم، بل ولاهم ظهره وتركهم ومضى، ضاحكاً منهم في سرّه.

فانصرف الشيوخ من حضرته قانطين.

ولما بلغوا باب القصر رأوا وزير الملك. وكان هذا الوزير داهيةً، فلحظ اضطرابهم وعرف قصتهم.

فقال لهم: «أوّاه أيها الأصحاب! فإن الحظّ لم يسعدكم، لأنّكم لو أتيتم إلينا عندما يكون ملكنا سكران لكنتم حصلتم في الحال على ما طلبتم!».

طائر إيماني

من أعماق قلبي هبّ طائرٌ، وصعد محلّقاً في الفضاء،
وكان كلما حلّق في الجوّ، أكثر فأكثر، يزداد كبراً فكبراً.
فبدا أولاً كالخطاف، ثمّ صار كالقبّرة، فكالنسر، إلى أن
أصبح كسحابة الربيع اتساعاً، فملأ السماوات المرصعة
بالنجوم.

من أعماق قلبي هبّ طائر، وحلق في الفضاء وكان
يزداد حجمه كلما طار.

ومع ذلك فإنّه ظلّ ساكناً في أعماق قلبي.

فيا إيماني، يا معرفتي الجامحة القديرة.

كيف أبلغ سمّوك، فأرى وإياك ذات الإنسان الفضلى
المرسومة على أديم السماء؟

كيف أحوّل هذا البحر الذي في أعماق نفسي، إلى
ضباب كثيف، وأهيم وإياك في فضاء اللانهاية؟.

أو هل يستطيع السجين في ظلمات الهيكل أن يرى

قباب الهيكل المذهبّة؟

أم هل للنواة أن تتمدّد فتغلف الثمر كما كان يغلّفها من ذي قبل؟

أجل يا إيماني الحليم! أجل، فإني مقيد بالسلاسل الحديدية في غيابات هذا السجن المحدود، تفصلني عنك هذه الحواجز المصنوعة من اللحم والعظم، وليس لي أن أطير معك الآن إلى عالم اللاحدود.

بيد أنّك من قلبي تنبثق محلّقاً في الفضاء الوسيع، وأنت لا تزال قاطناً في أعماق قلبي الوجيع، وإني بذلك لراضٍ مستسلم قنوع.

الخلافات

حدث عندما كانت ملكة «عيشانا» في فراش مخاضها والملك وعيون بلاطه يترقبون نجاتها من آلامها الشديدة، وهم جالسون على أحرّ من الجمر في قاعة الثيران المجنحة[1]، أن دخل عليهم فجأة رسول مستعجل، وركع عند قدمي الملك وقال: «أيها الملك العظيم، إنّني أحمل لكم بشائر الفرح، وللملكة، ولعبيد الملك أجمعين، وذلك أن مخراب «الجائر» عدوك اللدود، ملك «البترون»، قد قضى نحبه».

فلمّا سمع الملك وكبار رجال دولته هذه البشرى نهضوا منتصبين على أقدامهم، وهللوا فرحين. لأنّه لو طال أجل محراب الجبّار سنةً واحدة، لغزا أرض «عيشانا» وقاد

(١) كان عند قدماء الأشوريين إله له رأس إنسان وجسم ثور وأجنحة طائر، وكانوا يرمزون برأسه عن الفكر، وبجسمه عن العزم، وبأجنحته عن الخيال. وهذا ما عناه المؤلف بقوله «قاعة الثيران المجنحة».

سكانها عبيداً إلى بلاده.

وفي تلك اللحظة دخل طبيب البلاط إلى قاعة الثيران المجنحة، ودخلت وراءه قابلة الملكة. فانحنى الطبيب احتراماً للملك وقال له: «ليعش سيدي الملك إلى الأبد، فها قد رزقك الله طفلاً ذكراً، سيخلفك على العرش، ويخلد حكمك على شعوب «عيشانا» عديد السنين!».

فتهلل الملك، وطارت روحه فرحاً، لأنّه في اللحظة الواحدة هلك عدوّه، وتأصّلت الخلافة في نسله.

وكان في مدينة «عيشانا» في ذلك العهد نبيّ حقّ، ولكنه كان فتى جريئاً باسل الروح.

فأمر الملك أن يُحضر النبي بين يديه في تلك الليلة، فأحضر في الحال.

فقال له الملك: «تنبأ أيها النبي، وقل لنا كيف سيكون مستقبل ابني الذي وُلد الآن للمملكة».

فأجابه النبيّ على الفور قائلاً: «اصغ أيها الملك فأنبئك الصدق عن مستقبل ابنك الذي وُلد لك اليوم: فإن روح عدوك ـ عدوك اللدود الملك محراب ـ الذي مات في مساء الأمس، لم تلبث على متن الأرياح سوى ليلة واحدة

وقد هبطت إلى الأرض ثانية تطلب جسداً تأوي إليه، فلم ترَ أفضل من جسد ابنك هذا الذي وُلد لك اليوم فتقمصته».

فاستشاط الملك غيظاً، وأستلّ سيفه، وقطع رأس النبي بيده والزبد يخرج من فمه غضباً.

وها قد مرت الأيام، وتصرمت حبال السنين على تلك الحادثة، وحكماء «عيشانا» يُسرّون واحدهم للآخر قائلين: «أما قيل لنا في القدم، وأثبتت الأيام ذلك القول، إن «عيشانا» يحكمها عدوها؟».

المعرفة ونصف المعرفة

جلس أربع ضفادع على قرمة حطب عائمة على حافة نهر كبير. فجاءت موجة هوجاء واختطفت القرمة إلى وسط النهر، فحملتها المياه وسارت بها ببطء مع مجرى النهر. فرقصت الضفادع فرحاً بهذه السباحة اللطيفة فوق المياه، لأنّه لم يسبق لهنّ أن أبحرن بعيداً من ذي قبل.

وبعد هنيهة صرخت الضفدعة الأولى قائلة: «يا لها من قرمة عجيبة غريبة! تأملن أيتها الرفيقات كيف تسير مثل سائر الأحياء. والله إنني لم أسمع قط بمثلها».

فأجابتها الضفدعة الثانية وقالت: «إن هذه القرمة لا تمشي، ولا تتحرك أيتها الصديقة، وهي ليست عجيبة غريبة كما توهمت، ولكن مياه النهر المنحدرة بطبيعتها إلى البحر تحمل معها هذه القرمة معها وتحملنا نحن أيضاً بانحدارها».

فقالت الضفدعة الثالثة: «لا لعمري، فقد أخطأتما أيتها

الرفيقتان في خيالكما الغريب، فإن القرمة لا تتحرك والنهر أيضاً لا يتحرك، وإنما الحقيقة أن فكرنا هو المتحرك فينا، وهو الذي يقودنا إلى الاعتقاد بحركة الأجسام الجامدة».

وتناظرت الصفادع الثلاث في ما هو متحرك بالحقيقة. وحمي وطيس الجدال وعلا الصراخ بينهن ولم يتّفقن على رأي واحد.

ثم التفتن إلى الضفدعة الرابعة التي كانت إلى تلك الساعة هادئة صامتة تصغي إليهنّ بانتباه واستيعاب، وسألنها رأيها في الموضوع.

فقالت لهنّ: «كلكنّ محقات أيتها الرفيقات، ولا واحدة منكنّ على ضلال. فإن الحركة كائنة في القرمة وفي النهر وفي فكرنا في وقت واحد».

فلم يرقهنّ ذلك الكلام، لأن كلّ واحدة منهنّ كانت تعتقد أنها وحدها المصيبة وأن رفيقاتها لفي ضلال مبين.

وما أغرب ما حدث بعد ذلك! فإن الضفادع الثلاث تسالمن بعد العداء، وتجمّعن فرمين بالضفدعة الرابعة من على القرمة إلى النهر.

الصحيفة البيضاء

قالت صحيفة ورق بيضاء كالثلج : «قد بُرئتُ نقية طاهرة وسأظلّ نقيّة إلى الأبد. وإنني لأوثر أن أحرق وأتحول إلى رماد أبيض، على أن آذن للظلمة فتدنو مني وللأقذار فتلامسني».

فسمعت قنينة الحبر قولها وضحكت في قلبها القاتم المظلم ولكنها خافت ولم تدنُ منها.

وسمعتها الأقلام أيضاً على اختلاف ألوانها ولم تقربها قط.

وهكذا ظلت صحيفة الورق البيضاء كالثلج ـ نقية طاهرة ـ ولكن. . . فارغة.

العالم والشاعر

قالت الحية للحسون: «ما أجمل طيرانك أيها الحسون! ولكن حبذا لو أنّك تستطيع أن تنسلّ إلى ثقوب الأرض وأوكارها. حيث تختلج عصارة الحياة في هدوء وسكون!».

فأجابها الحسون وقال: «أي وربي! إنّكِ واسعة المعرفة بعيدتها، بل أنتِ أحكم جميع المخلوقات، ولكن حبذا لو أنّك تطيرين».

فقالت الحيّة كأنّها لم تسمع شيئاً: «مسكين أنت أيّها الحسون! فإنّك لا تستطيع أن تبصر أسرار العمق مثلي، ولا تقدر أن تتخطر في خزائن الممالك الخفية، فترى أسرارها ومحتوياتها. أما أنا فلا أبعد بك، فقد كنت في الأمس متكئة في كهف من الياقوت الأحمر أشبه بقلب رمانة ناضجة، وأضأل الأشعة تحوّلها إلى وردة من نور. فمن أعطي سواي في هذا العالم أن يرى مثل هذه الغرائب؟».

فقال لها الحسون: «بالصواب قد حكمتِ أيتها الحكيمة، فلا أحد إلاكِ يستطيع أن يفترش ما تبلور من تذكارات العصور، وآثار الدهور. ولكن واأسفاه، فإنّك لا تغرّدين!».

فقالت الحية: «إنّني أعرف نباتاً تمتدّ جذوره إلى أحشاء الأرض، وكل من يأكل من تلك الجذور يصير أجمل من عشتروت».

فأجابها الحسون قائلاً: «لا أحد، لا أحد إلاكِ قد اهتدى إلى حسر القناع عن فكر الأرض السحري. ولكن واأسفاه، فإنّك لا تطيرين!».

فقالت الحية: «وأعرف جدولاً أرجوانيّاً يجري تحت جبل عظيم، وكلّ من يشرب من هذا الجدول يصير خالداً خلود الآلهة. وليس بين الطير أو الحيوان من اهتدى إلى ذلك الجدول سواي».

فأجاب الحسون وقال: «بلى والله. فإن في منالك أن تكوني خالدة مثل الآلهة لو شئتِ. ولكن واأسفاه، فإنّك لا تغرّدين!».

فقالت الحية: «وأعرف هيكلاً مطموراً تحت تراب الأرض، لم يهتدِ إليه باحثٌ أو منقّبٌ بعد، أزوره مرّة في

الشهر، وهو من بناء جبابرة الأزمنة الغابرة. وقد نُقشت على جدرانه أسرار جميع الأزمنة والأمكنة، وكلّ من يقرأها ويفهمها يوازي الآلهة في العقل والمعرفة».

فأجابها الحسون قائلاً: «بلى أيتها الحكيمة العزيزة، فإنّك لو شئت لاستطعت أن تكتنفي بلين جسدك جميع معارف الأجيال. ولكنك وأسفاه، لا تقدرين أن تطيري!».

فاشمأزت الحية إذ ذاك من حديثه، وارتدّت عنه إلى وكرها، وهي تبربر في ذاتها قائلة: «قبحه الله من غرّيد فارغ الرأس!».

أما الحسون فطار وهو يغني بأعلى صوته قائلاً: «واأسفاه، إنّك لا تغردين! واأسفاه، واأسفاه يا حكيمتي، فإنّك لا تطيرين!».

الأثمان

كان رجل يحفر في حقله. وفيما هو يحفر عثر على تمثال بديع من المرمر الجميل. فأخذه ومضى به إلى رجل كان شديد الولع بالآثار والعاديّات وعرضه عليه. فاشتراه منه بأبهظ الأثمان. ومضى كل منهما في سبيله.

وبينما كان البائع راجعاً إلى بيته أخذ يفكر في ذاته قائلاً: «ما أكثر ما في هذا المال من القوة والحياة! إنّه بالحقيقة ليدهشني كيف أن رجلاً عاقلاً ينفق مالاً هذا مقداره لقاء صخر أصم فاقد الحركة، كان مدفوناً في الأرض منذ ألف سنة ولم يحلم به أحد».

وفي الساعة عينها كان المشتري يتأمل التمثال مفكّراً وقائلاً في ذاته: «تبارك ما فيك من الجمال! تبارك ما فيك من الحياة! حلم أية نفس علوية أنت؟ هذه بالحقيقة نضارةً أعطيتها من نوم ألف سنة في سكينة الأرض! إنّني والله لا أفهم كيف يمكن الإنسان أن يبيع مثل هذه الطرفة النادرة بمال جامد زائل».

البحار الأخرى

قالت سمكة لأختها: «يوجد فوق بحرنا هذا بحرٌ آخر، وفيه مخلوقات متنوعة تعيش وتسبح هنالك كما نعيش نحن ههنا ونسبح».

فأجابتها أختها وقالت: «تلك أوهام! تلك أوهام! ألا تعلمين أيتها العزيزة أن كل مخلوق يترك بحرنا قيد قيراط واحد، ويبقى خارجاً عنه، يموت في الحال؟ إذن، فما هي حجتك على وجود أحياء أخرى في بحار أخرى؟»

التوبة

دخل رجلٌ في ليلة ظلماء إلى حديقة جاره، فسرق أكبر بطيخة وصلت إليها يده وحملها وجاء بها إلى بيته.

وعندما كسرها وجد أنها عجراء لم تبلغ بعد نموها، فتحرك ضميره في داخله إذ ذاك، وأوسعه تونيباً، فندم على أنّه سرق البطيخة...

المحتضر والشوحة

مهلاً ولا تلجّي يا أختاه، مهلاً!
فعمّا قريب أترك لك هذه البقيّة التلفة.
فإنها تستفرغ صبرك بطول نزاعها.

إنّني أضنّ بجوعك أن يترقبّ تصرم هذه الهنيهات، لأن هذه القيود وإن كانت من اللهاث، فإن كسرها لعسير. إن رغبتي في الموت، وهي أبعد رغائبي، مقيدة بسلاسل رغبتي في الحياة، وهي أدنى رغائبي.

عفوكِ أيتها الرفيقة، فإنّني متماهلٌ بطيء.

هي الذكرى تمسك بروحي فتعيد إليها تذكارات مضت فتريها مواكب الأيام الذاهبة.
ومرأى شباب غابر قضيته في حلم.
وتشخص أمامي وجهاً يأمر أجفاني بألا تغمض.

وتعيد إلى مسمعي صوتاً لا يزال صداه متردّداً في أذني،

ويداً تلامس يدي ولا أراها.

عفوكِ أيتها الرفيقة، فقد طال انتظارك.

ولكن ها قد دنت الساعة وكل شيء عابر زائل: الوجه والعينان واليدان، والضباب الذي جاء بها.

ها قد حُلّت العقدة.
قد تقطّع الحبل.
وذلك الذي ليس بالطعام ولا بالشراب قد تنحّى راح.

تقدمي يا رفيقتي الجائعة، تقدمي فقد أعدّت المائدة والطعام حقير يسير ولكنه يقدم بمحبة.

هلمي واغرزي منقارك في جنبي الأيسر.
وأخرجي من بين قضبان قفصه هذا الطائر الأصغر.
الذي لن يرفرف جناحاه فيما بعد.
بربّك خذيه وحلّقي به في رحاب الفضاء.
هلمّي، هلمّي إليّ يا صديقتي،
فأنا مُضيفكِ الليلة، وأنت ضيفي العزيز فأهلاً ومرحبا!.

وراء وحدتي

إنّ وراء وحدتي وحدة أبعد وأقصى.
وما انفرادي للمعتزل فيها سوى ساحة تغص بالمزدحمين.
وما سكوني للساكنين فيها سوى جلبةٍ وضجيج.
إنّني حَدَثٌ مضطرب هائم بعد، فكيف أبلغ تلك الوحدة القاصية؟
إنَّ ألحان ذلك الوادي تتموّج في أذنيّ،
وظلاله السوداء تحجب الطريق عن عينيّ،
فكيف أسير إلى تلك الوحدة العلوية؟
إن وراء هذه الأودية والتلال غابة حبٍّ وافتتان،
وما سكوني لمن فيها سوى عاصفة هوجاء صماء،
وما افتتاني لعاشقها سوى انخداع وغرور.

إنّني حَدَثٌ مضطرب هائم بعد، فكيف أبلغ تلك الغابة القدسية؟

فإن طعم الدماء لا يزال في فمي،
وقوس أبي ونشابه ما برحا في يدي،
فكيف أسير إلى تلك الوحدة العلوية؟
- إن لي وراء هذه الذات السجينة ذاتاً حرة طليقة،
وما أحلامي في عقيدتها سوى حرب في ظلام،
وما رغائبي تجاه رغائبها سوى قرقعة عظام.
إنّني حدث مهان ذليل بعد،
فكيف أكوّن ذاتي الحرة الطليقة؟
أجل، كيف أكون ذاتي الحرة الطليقة -
قبل أن أثأر لنفسي فأذبح جميع ذواتي المستعبَدة،
أو قبل أن يصير الناس أحراراً طلقاء؟
إذ كيف تطير أوراقي مترنمة فوق الريح -
قبل أن تذوي جذوري في ظلام الأرض؟
بل كيف يحلّق نسر روحي طائراً أمام وجه اللشمس -
قبل أن تترك فراخي عشّها الذي بنيته لها بعرق وجهي؟

اليقظة الأخيرة

في غلس الليل العميق، وقد هبَّ النسيم معطراً بأنفاس الفجر الأولى، نهض «السابق» ـ وهو صدى الصوت الذي لم تسمع به أذنٌ بعد ـ فترك مقصورته وصعد إلى سطح بيته. وبعد أن وقف هنالك طويلاً ينظر إلى المدينة الهاجعة في سكينة الليل، رفع رأسه، وكأنما قد تجمعت حواليه أرواح أولئك النائمين المستيقظة، وفتح فاه وخاطبهم قائلاً:

«يا أخوتي وجيراني، ويا أيها المارّون ببابي في كل يوم، إنّني أودّ أن أناجيكم في نومكم، وفي وادي أحلامكم، أود أن أمشي مطلقاً عارياً، فإن ساعات يقظتكم أشدّ غفلة من نومكم، وآذانكم المثقلة بالضجيج كليلة صماء.

«لقد أحببتكم كثيراً وفوق الكثير».

«لقد أحببت الواحد منكم كما لو كان كلكم».

«وأحببتكم جميعاً كما لو كنتم واحداً».
«ففي ربيع قلبي كنت أترنّم في جنانكم»،
«وفي صيف قلبي كنت أحرس بيادركم.

«أجل، قد أحببتكم جميعكم، جباركم وصعلوككم، أبرصكم وصحيحكم، وأحببت من يتلمّس منكم سبيله في الظلام، كمن يرقص أيامه على الجبال والآكام.

«أحببتك أيها القوي، مع أنّ آثار حوافرك الحديدية لا تزال ظاهرة في لحمي».

«وأحببتك أيها الضعيف على رغم أنّك جففت إيماني، وعطلت عليّ صبري».

«أحببتك أيها الغني، في حين أن عسلك كان علقماً في فمي. وأحببتك أيها الفقير مع أنّك عرفت عوزي وفراغ ذات يدي».

«أحببتك أيها الشاعر المقلد، الذي يستعير قيثارة جاره ليضرب عليها بأصابعه العمياء، أحببتك كرماً ولطفاً. وأحببتك أيها العالم الدائب عمره في جمع الأكفان الرثة من حقل الخزّاف الممقوت.

«أحببتك أيها الكاهن الجالس في سكون أمسه متسائلاً عن مصير غده».

«وأحببتك أيها العابد الذي يتخذ له من أشباح رغائبه آلهة يعبدها».

«أحببتكِ أيّتها المرأة، المتعطشة وكأسها مملؤة أبداً، لأنّني عرفت سرّكِ».

«وأحببتكِ أيّتها المرأة الساهرة لياليها، مشفقاً عليكِ».

«أحببتكَ أييها الثرثار قائلاً في نفسي: «إنّ للحياة كثيراً فتقوله».

«وأحببتك أيها الأبكم قائلاً في سري: «حبذا لو أسمع نطقاً يعبر عمّا في صمته».

«أحببتك أيها القاضي والناقد، ولكنكما عندما رأيتماني مصلوباً قلتما: «ما ألطف نزف دمائه من عروقه، وما أجمل الخطوط التي ترسمها في مسيلها على جلده الناصع!».

«أجل، أحببتكم جميعكم، فتاكم وشيخكم».

«وأحببت قصبتكم المرتجفة كسنديانتكم الجبارة الراسخة».

ولكن واأسفاه فإنّ قلبي الطافح بحبّكم قد حوّل قلوبكم عني».

«لأن في وسعكم أن ترتشفوا خمرة المحبة من القدح

الصغير ولكنكم لا تقوون على شربها من النهر الفياض».

«إنّكم تستطيعون أن تسمعوا صوت المحبة عندما تهمس في آذانكم».

«ولكنكم تصمون آذانكم عندما تصيح المحبة مهللة بأعلى صوتها».

«وعندما رأيتم أنني قد أحببتكم جميعكم بالسويّة. تهكمتم قائلين: «ما أسهل انقياد قلبه، وما أبعد الفطنة عن مسالكه! إنّ محبّته هذه محبّة متسوّل جائع، قد تعوّد التقاط الفتات، ولو كان جالساً إلى موائد الملوك، بل هي محبة ضعيف حقير، لأن القوي لا يحب إلّا الأقوياء».

«وعندما رأيتم أنني أحببتكم حبّاً مفرطاً قلتم: «إن محبته هذه محبة أعمى لا يميز بين جمال الواحد وبشاعة الآخر، بل هي محبة عديم الذوق، الذي يشرب الخل كأنّه يشرب الخمر. بل إنما هي محبة فضوليّ مدّعٍ، إذ أي غريب يستطيع أن يحبّنا كأبينا وأمّنا وأختنا وأخينا؟».

«وهذه أقوالكم وغيرها كثير، لأنّكم طالما أشرتم إليّ بأصابعكم في شوارع المدينة وساحاتها وقلتم بعضكم لبعض ساخرين:

«بربّكم انظروا الصغير الكبير، الذي لا يعبأ بالفصول

والسنين، فهو عند الظهيرة يلاعب أولادنا، وعند المساء يجالس شيوخنا، مدعياً الحكمة والفهم».

«أما أنا فكنت أقول في قلبي: «لا بأس في ذلك، فإنّي سأحبهم أكثر فأكثر. ولكني سوف أسدل على محبتي ستاراً من البغض، وأستر عطفي بشديد كرهي. وسأتبرقع ببرقع من حديد، ولا أسعى وراءهم إلا مسلحاً مدرعاً».

«وبعد ذلك ألقيت يداً ثقيلة على رضوضكم وجراحكم، وكما تعصف العاصفة في الليل رعدت في آذانكم».

«ومن على السطوح قد أذعتكم للملأ فرّيسيين مرائين خداعين، وفقاقيع أرض كاذبة فارغة.

«قد لعنت قاصري النظر فيكم كما تلعن الخفافيش العمياء».

«شبّهت الملتصقين بالأرض والأدنياء منكم بالمناجذ (جمع خلد) العادمة النفوس.

«أما الفصحاء والبلغاء بينكم فدعوتهم متشعبي الألسنة، ودعوت الصامت الساكن فيكم متحجر القلب والشفتين، وقلت في البسيط الساذج: «إنّ الأموات لا يملّون الموت».

«قد حكمت على الساعين وراء المعرفة البشرية منكم ومن أبنائكم كمجذفين على الروح القدس».

«وحكمت أيضاً على المأخوذين والمجذوبين بحبّ الأرواح وما وراء الطبيعة كمصطادي أشباح، يرمون شباكهم في مياه راكدة، ولا يصطادون سوى ظلالهم البليدة.

«كذا شهّرتكم بشفتي، ولكن قلبي، والدماء تنزف منه، كان يدعوكم بأرقّ الأسماء وأحلاها».

«أجل أيها الأصحاب والجيران، فإن المحبة قد خاطبتكم بسياط ذاتها».

«والكبرياء قد رقصت أمامكم متعفّرة بغبار خيبتها مذبوحة بآلامها».

«وتعطشي لمحبتكم قد ثار ثائره على السطوح».

«ولكن محبتي كانت تسألكم صفحاً وهي راكعة صامتة».

«ولكن إليكم المعجزة يا قوم:

«إن تستّري قد فتح عيونكم، وبغضي قد أيقظ قلوبكم».

«والآن أنتم تحبونني!».

«إنّكم لا تحبون سوى السيوف التي تطعن قلوبكم والسهام التي تخرق صدوركم».

«لإنّكم لا تتعزّون إلا بجراحكم، ولا تسكرون إلا بخمرة دمائكم».

«وكما يتجمّع الفراش حول اللهيب. ساعياً وراء حتفه، تجتمعون أنتم كل يوم في حديقتي، وبوجوه مرتفعة، وعيون شاخصة. تراقبونني وأنا أمزّق نسيج أيامكم، فتتهامسون فيما بينكم قائلين:

«إنّه يبصر بنور الله، ويتكلم كأنبياء المتقدمين، فيحسر القناع عن نفوسنا، ويحطم أقفال قلوبنا، وكما يعرف النسر مسالك الثعالب، يعرف هو أيضاً طرقنا ومسالكنا».

«بلى، فإنني بالحقيقة أعرف طرقكم، ولكن كما يعرف النسر طرق فراخه. وإنّني، بمسرة قلب، قد كشفت لكم سري، ولكنني لحاجة بي إلى قربكم، أتظاهر بالجفاء، وخوفاً مني على دنو قضاء محبتكم أقوم على حراسة سدود محبتي».

وبعد أن فرغ السابق من كلامه غطى وجهه بيديه وبكى بكاءً مرّاً، لأنّه أدرك في قلبه أن المحبة المحتقرة في عريها لأعظم من المحبة التي تنشد الظفر في تسترها وتنكّرها،

وخجل إذ ذاك من ذاته.

ثم رفع رأسه بغتةً، وكأنّه أفاق من نوم عميق، وبسط ذراعيه وقال: «ها قد ولّى الليل، ونحن أولاد الليل يجب أن نموت عندما يأتي الفجر متوكّئاً على التلال، وستبعث من رمادنا محبة أقوى من محبتنا، وستضحك في نور الشمس، وستكون خالدة».

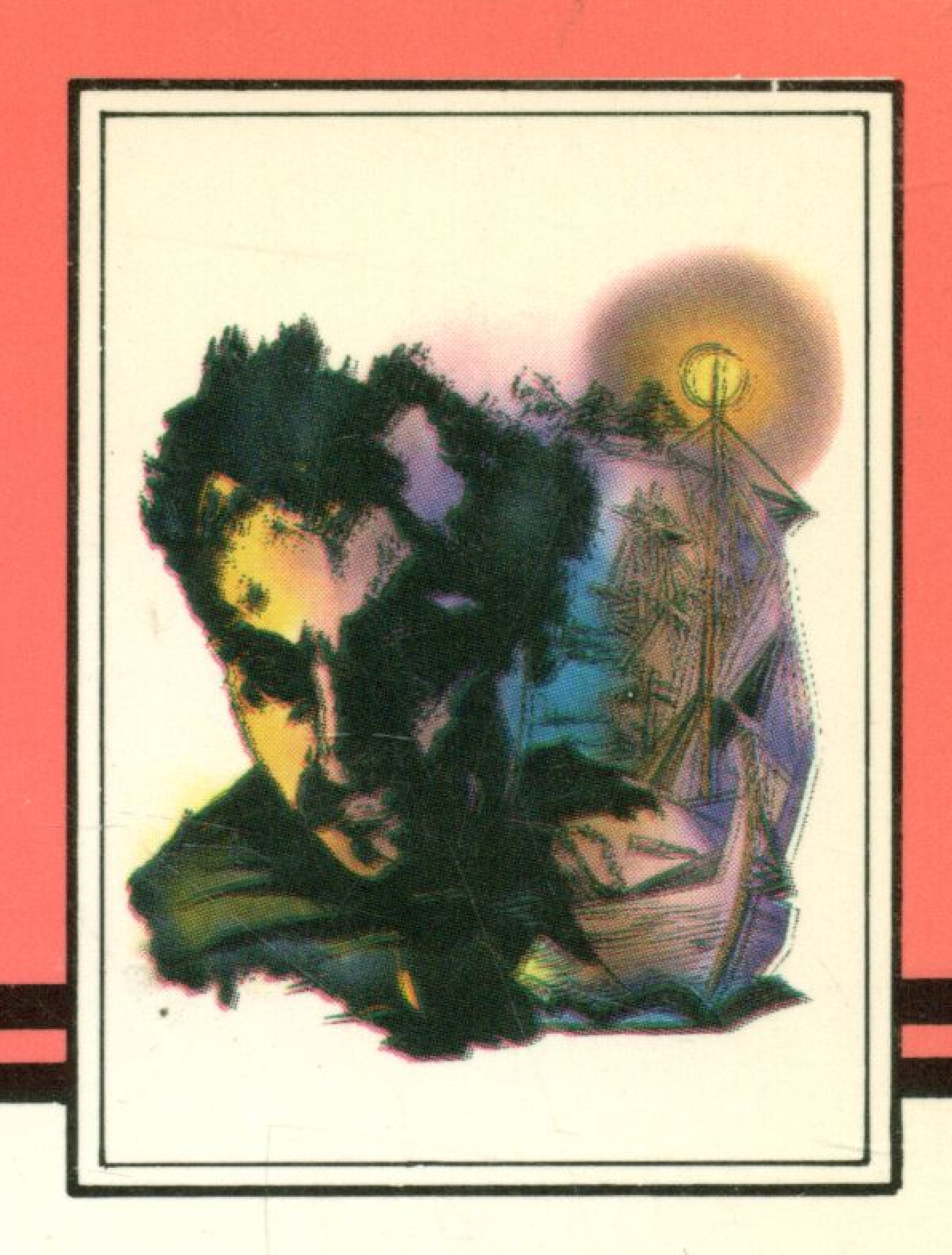
الفهرس

صفحة

جبران خليل جبران

السَّابِق

The FORERUNNER
by Kahlil Gibran
(1920)



السَّابِق

● السابق (١٩٣٠): كتبه جبران بالإنجليزية وقد ضمنه عدداً من الحكايات والأمثال والحكم، يضم أربعاً وعشرين حكاية رمزية وقصيدة نثرية يغلب عليها الإيمان بوحدة الوجود.

حاول جبران في السابق أن يبيّن سخف الذين يدّعون احتكار الحقيقة. يتضمن الكتاب قصائد نثرية يتناول أكثرها شقاء الروح في عالم المادة وطوقها الدائم إلى العالم الأسمى، فحياتنا الحاضرة هي لاحقة لحياة مضت قبلها أو سابقة لحياة ستأتي بعدها، والحياة الآنية بعدها، ستصبح بدورها سابقة لحياة أخرى.

... جبران خليل جبران: أهميته في أنه توجه إلى الإنسانية جمعاء مخاطباً النفس البشرية في جميع نزعاتها وأهوائها، مخاطباً إياها في كل زمان ومكان وعبر العصور والأزمان، داعياً إلى الأصلاح.

... فإلى قراء العربية نقدم «السابق» لجبران خليل جبران الأديب الشاعر، والناقد البناء، والفنان الفيلسوف، والمصلح الاجتماعي والمفكر العالمي، ندعوهم إلى تذوق أدبه، واقتناء مؤلفاته والاستزادة منها موشحة بمقدمات ودراسات تحليلية نقدية للنتاج الجبراني بقلم الأديبة الدكتورة نازك سابا يارد.

الناشر



مؤسسة بحسون
للنشر والتوزيع
منشورات بحسون الثقافية - دار المنال
سنتل تجاري ١٠٩٥٤ - بولفار سليم سلام - بناية سوق الروشة
تلفون: ٣٠٥٦٢٢ - ٣١٩١٤٧ - ص.ب ١١/٨٥٠٥ - بيروت - لبنان